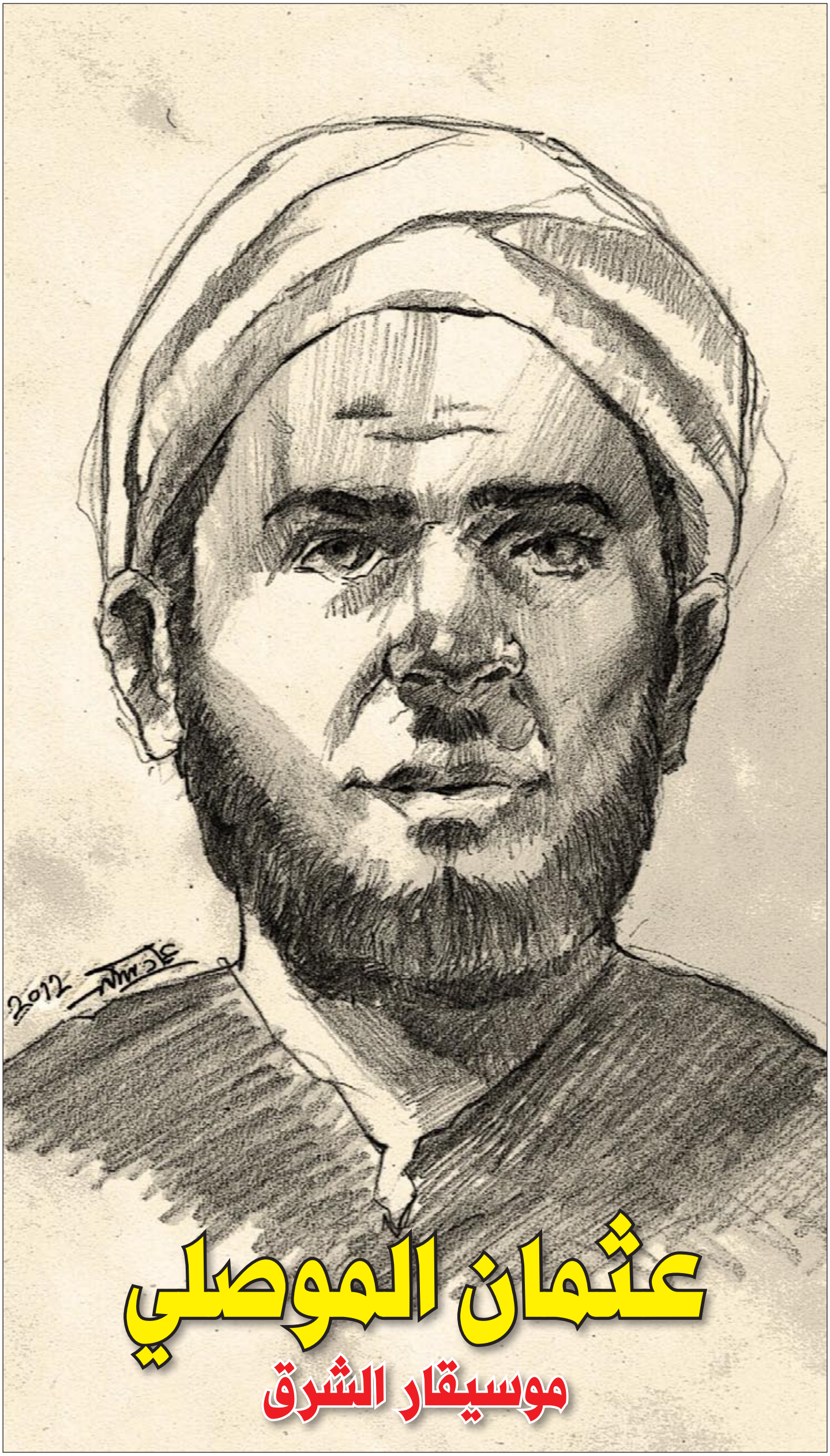

عثمان الموصلي
موسيقار الشرق

المراقب الموسيقي

من زمن التوهج

رئيس مجلس الادارة رئيس التحرير

فخري كريم

العدد (2410) السنة التاسعة

الخميس (1) اذار 2012

12

الموصلي ودوره في تطور الموسيقى الدينية في العراق

كيف تعرفت على الملا عثمان الموصلي..؟

سالم حسين الأمير
باحث وموسيقي

كيف تعرّفت وعزّفت ونشرت الحان وإعلام الموسيقار والشاعر المتصوف الملا عثمان الموصلي؟ الذي اعرف عنه وعن حياته وأظن إن اسمه لم يذكر أمامي رغم اختلاطي اليومي بحكم عملي كملحن ومؤلف موسيقي وعازف لآلة القانون.

صادف أن أهدائي عام ١٩٧٣ احد أصدقائي من المعجبين بعزفي والحاني وهو السيد المستشار القانوني خيري العمري كتاباً بعنوان (أعلام الأدب والفن) للكاتب والأديب العربي السوري السيد أدهم الجندي، وتصفحت هذا الكتاب بشوق ولهفة لما لي من ذكريات جميلة في دمشق ولياليها الساحرة وأصدقاء من رواد الفن والطرب والشعر والادب اذكر منهم على سبيل المثال المطرب الخفيف الدم والمحبوب لا في سوريا فحسب بل في العراق أيضاً، حيث أقام في بغداد فترة طويلة كان فيها موضع إعجاب وتقدير ذلك هو الفنان القدير والمطرب والملحن الجميل السيد رفيق شكري والفنان القدير أيضاً الاستاذ تيسير عقيل وجميع الفنانين العاملين في إذاعة دمشق العامرة.

كذلك كان لي شرف التعرف على السياسي والأديب المتفنن والشاعر الاستاذ فخري البارودي وغيره من الأدباء والشعراء الذين تزدهر بهم شواطئ بردى والسويداء، وحلب الشهباء، وحمص وحما واللاذقية والجولان وغيرها من المدن السورية الجميلة بناسها والمبتسمة بغيطانها وبساتينها.

قرأت كتاب أعلام الأدب والفن مراراً بعد أن وقع نظري على صفحات كثيرة من هذا الكتاب الموسوعي يتحدث فيها المؤلف الاستاذ الجندي عن موسيقار وشاعر صوفي مولوي (الجبة والطربوش) وعن حياته وتنقلاته بين الموصل وبغداد واستانبول ودمشق وحلب والقاهرة وغيرها من الأقطار العربية وتركيا ومكانته الكبيرة في مجالسها بين أدبائها وشعرائها وفنانيها ومبدعيها حتى وصلت شهرته إلى الباب العالي فاحتضنته السلطان عبد الحميد ومنحه التحدث باسمه خطيباً وسفيراً.

عجبت لهذا البصير العبقري كيف جمع البلاغة والنباهة والمقدرة في الخطابة وقبول الشعر والعزف على أكثر من آلة، كالعود والقانون والناي والطبلة وقوة التحويل والتجوال في الأنغام والألحان واستقطب إعجاب عباقرة الفن والموسيقى والغناء، أمثال الموسيقار الكبير الشيخ سيد درويش والمطرب الكبير عبدو الحمولي وكبير الموشحين الفنان كامل الخلعي ودرويش الحريري ومحمد عثمان والشيخ محمود المقرئ للقرآن الكريم في مصر وفي القطر الذي عاش فيه متنقلاً بين دمشق وحلب الشهباء وأصدقاؤه في أعلام الفن أمثال الفنان الكبير أبو خليل القباني وعمر البطش والشيخ علي الدرويش وغيرهم من جهابذة البيان والشعر والألحان.

وشاءت الصدف الجميلة أن أكون جاراً للطبيب الدكتور عادل البكري كان حينها نائبا لرئيس مدينة الطب في بغداد وكنا نتبادل الزيارات بعد عودته من المسائية وعند زيارته لي طرحت عليه هذا السؤال وأطلعته على الكتاب (أعلام الأدب والفن)، فقلت له علمت انك كتبت وحققت بعض الكتب القديمة مثل كتاب نصف العيش وغيرها لماذا لم تكتب عن هذا العبقري الملا عثمان الموصلي وأنت من أبناء مدينته الموصل؟، فابتسم ابتسامة فيها نوع من الاستغراب فقال انتظرني خمس دقائق لأجيبك على هذا السؤال وغادرني إلى داره القريبة من داري فجاءني بكتاب كبير وقال لي تفضل هذه نسخة مهداة لسيادتك وإذا بعنوان الكتاب الموسوم الملا عثمان الموصلي الموسيقار والشاعر المتصوف، تأليف الدكتور عادل البكري وإذا بي أتصفح كتاباً شاملاً عن حياة هذا العملاق البصير الذي جمع الشعر والموسيقى والفقه والبلاغة والشخصية المحبوبة والمتألقة في كافة المجالس التي حضرها، فشكرته على هديته الثمينة مع الاعتذار والاستفسار عن عدم وجوده وتوفره في المكتبات فأجابني هذا من شأن الإعلام في وزارة الثقافة وأخذنا نتحدث عن أعمال هذا الرجل الفذ وقررنا أن نقوم بزيارة من بقية من معاصريه والذين عملوا معه في الأذكار والمناقب النبوية في بغداد أو في الموصل وان نحيي ذكراه، وقد قربت الذكرى الخمسين لوفاته رحمه الله حيث توفي عام ١٩٢٣.

وفعلا وضعنا منهجاً للتحرك في تسجيل ماقدم من الحان وشعر وأول ماقمنا به هو الاتصال بالمقرئ الذي عاصره وعمل معه وحفظ أكثر أعماله الدينية السيد الحاج عبد الفتاح معروف فحملت المسجل معي وصاحبني في ذلك الموسيقار السيد روحي الخماش رحمه الله الذي اخذ على عاتقه تدوين ما أمكننا تسجيله من هذه الموشحات الدينية واجتمعنا بالحاج عبد الفتاح معروف وسجلنا ما تيسر لنا من موشحات وقصائد وحدثنا الحاج عبد الفتاح معروف رحمه الله (وقد جاوز) التسعين من عمره، عن حياة هذا العملاق البصير وعن طرافته وأعماله ونوادره وما وصل إليه من مرتبة في الألحان الجميلة والشعر البليغ وإجاباته العزف على الآلات الموسيقية مثل العود والقانون والناي والطبلة وجمال الصوت الجهوري وحسن الأداء.

كما حضر إلى بغداد رجل الأعمال المحامي السيد حسن العمري وعلم عند زيارته لي وهو صديق عزيز ونبيل رحمه الله، إنني والدكتور عادل البكري نخطط للقيام بمهرجان للذكرى الخمسينية لوفاة الملا عثمان الموصلي، طلب مني اصطحابه عند عودته إلى الموصل للوقوف على الكثير من أعمال الرجل الذي تنوي الاحتفال بذكراه، وفعلاً تم ذلك وأول رجل اجتمعت به في الموصل وعاصر الملا عثمان وشارك في جميع الأذكار التي أحياها الملا عثمان الموصلي والقصائد والألحان سواءً كانت معه مباشرة أو التي أرسلها الملا من اسطنبول على اسطوانات سجلها باللغتين العربية والتركية هو الرجل التربوي والذي يملك صوتاً جميلاً وإنشاداً وأمتعنا السيد عبد العزيز خياط رحمه الله وقارئ المقام السيد إسماعيل الفحام ورجل القانون المتفنن السيد عبد الهادي الجوادي وساعدني الحظ أيضاً أن التقي برجل التاريخ الدكتور صديق الجليلي رحمه الله والذي يحتفظ بمكتبة مقروءة ومسموعة، كذلك التقيت في بغداد مع الباحث والكاتب المهندس القانوني السيد فاروق العمري وكانت مجموعة كبيرة من القصائد والألحان ولما قررت تسجيل هذه الألحان وبثها إذاعياً وتلفزيونياً وجب علي إبدال كلماتها الصوفية بكلمات غزلية رفيعة المستوى والمعنى فعهدت بهذه المهمة إلى زميل الشاعر السيد عبد الجبار العاشور معاون عميد معهد الفنون الجميلة بحكم تواجدي يومياً في معهد الفنون حيث كنت مدرساً لآلة القانون وكذلك تاريخ الموسيقى العربية ومادة ثالثة هي التراث الشعبي، وكلفته بالالتزام بالبحور الشعرية لهذه القصائد الدينية وأخذت في تسجيل هذه الألحان كمادة غنائية مثل (هب الصبا الفواح العلالي) وقصيدة (أرج النسيم سرى من السزوراء) وغيرها حتى تجاوزت أربعة عشر قصيدة وزعتها بين المطربين وفرقة الإنشاد وأخذت طريقها إلى المذياع ولم أقف عند هذا النشر فحسب بل شكلنا لجنة مختارة من الدكتور عادل البكري والمستشار القانوني السيد خيري العمري والقس هلاني الذي هو الآخر يحتفظ ببعض الألحان للموصلي وقدمنا طلباً لوزارة الثقافة والإعلام وكان حينها الأديب والباحث السيد عامر رشيد السامرائي مديراً عاماً للديوان الـــذي رحب بفكرة إقامة المهرجان الذهبي لذكرى وفاة الملا عثمان كذلك لن ننسى وقوف مدير عام دائرة الفنون السيد نوار سليم الفنان التشكيلي وهيئنا الحفل والقائمين على أداء مواده الفنية ووزعنا بطاقات الدعوة لهذا الاحتفال ولضيق الفترة التي يقام فيها الاحتفال تعذر علينا أن ندعو شخصيات من خارج العراق.

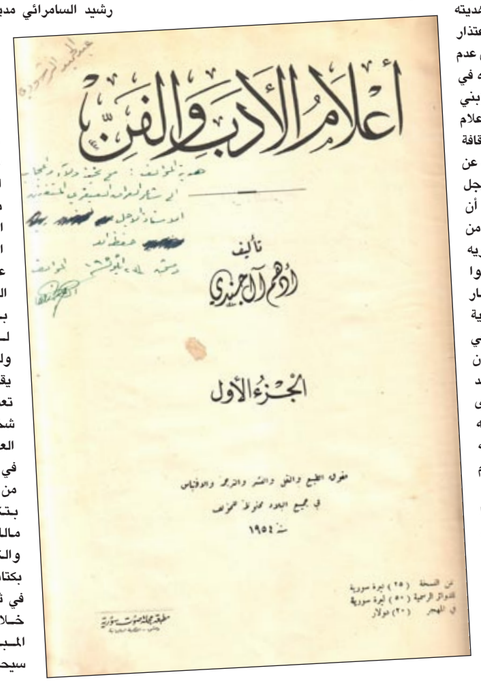

في عام ١٩٧٣ طلبنا من الإذاعة العراقية بتكليف الدكتور مالك المطلبي الناقد والكاتب القصصي بكتابة مسلسل إذاعي في ثلاثين حلقة تذاع خلال شهر رمضان المبارك الذي كان سيحل بعد أيام قليلة، فتم ذلك بالفعل واخترنا الفنان القدير تمثيلاً وغناءً السيد كنعان وصفي لدور الملا عثمان الموصلي للتشابه في الصوت وكذلك اخترنا الصوت الثاني للموصلي في صباه المطرب صلاح عبد الغفور وهو يتلقى دروس حفظ القرآن الكريم من المقرئ السيد عبد الرحمن توفيق وبعد أن سجلنا هذه المواد والتمثيل وإعداد الممثلين لهذا الغرض أقيم المهرجان، شارك فيه مطرب العراق الأول الاستاذ محمد القبانجي بغناء قصيدة نظمها وأداها لحناً وذكر أنه التقى بالملا عثمان الموصلي وسمعه وأسمعه وأثنى على مقدرته في أداء المقام وجمال صوته وطلب منه الاستمرار والمثابرة في هذا المضمار كذلك شاركت أنا بمعزوفة من (وحي الموصلي) بمشاركة الفرقة الموسيقية وعرضنا لوحة المولوية، وشاركت كذلك الفرقة الموصلية ومطربها الكبير السيد إسماعيل الفحام، ولوحات وأغـان من الحان الملا عثمان، كذلك صدرتْ بعض الكتب عن الملا عثمان منها عثمان الموصلي في بغداد للمحامي السيد محمد العبطة، أشادت الصحف العراقية والعربية تشيد بأعمال هذا الرجل الشاعر والملحن والمولوي وقد انهالت برقيات التهاني ودعوات لحضور احتفالات خارج القطر العراقي إلى عمادة معهد الفنون باسم الملا عثمان الموصلي وبعد أن أذيع المسلسل الإذاعي الذي سجل من قبل الفنانين والممثلين وبعض المطربين طيلة أيام شهر رمضان المبارك.

عدنا أن نعمل لهذا الفنان المتصوف مسلسلاً تلفزيونياً تكفل بإعداده الكاتب القصصي والشاعر الأديب السيد عبد اله حسن وتكفلت أنا بإعداد الأغاني والموسيقى لم نأخذ مادة غنائية من المواد التي سجلت بل عمدت أن أضع ألحاناً بنفسي تحاكي أيام هذا الرجل العملاق فكانت الحان لقصائد مختارة من الشعر القديم قام بأدائها غناءً وتوزيعاً الفنان القدير الموسيقار الشاب الملهم السيد فتح الله احمد وقد أبدع في أدائها وموسيقاها

حضر إلى بغداد رجل الأعمال المحامي السيد حسن العمري وعلم عند زيارته لي وهو صديق عزيز ونبيل رحمه الله، إنني والدكتور عادل البكري نخطط للقيام بمهرجان للذكرى الخمسينية لوفاة الملا عثمان الموصلي، طلب مني اصطحابه عند عودته إلى الموصل للوقوف على الكثير من أعمال الرجل الذي تنوي الاحتفال بذكراه،

عزفاً وتوزيعاً اذكر منها (أشكو الغرام وأنت عني غافل) و (أما الولوع فانه فرض) وكذلك موشح نظمته ولحنته أنا أيضاً (أجمل به من مساء) و (سود العيون) وقصيدة من شعر الملا عثمان (ارج النسيم سرى من الزوراء) اخرج هذا المسلسل الجميل المخرج الراحل السيد جاسم شعن وقد انهالت الطلبات من الفضائيات التلفزيونية العربية على شراء هذا المسلسل الرائع غير ان دخول الجيش العراقي إلى الكويت حال دون ذلك، فضاع هذا المسلسل الرائع مع من ضاع واحترق وسرق خلال غزو الولايات المتحدة الأمريكية للعراق فيا حبذا لو أن بعض الفضائيات العراقية الكثيرة في هذا الوقت أو الفضائيات العربية الأخرى أن تتبنى إعادة كتابة وتمثيل وتصوير مثل هذا المسلسل العظيم الذي يجسد حياة رجل عاش في الربع الأخير من القرن التاسع عشر والربع الأول من القرن العشرين الذي جمع الشعر والنغم والادب التي انتشرت في أرجاء الوطن العربي والتي نعتبرها من التراث القديم ونفاخر بما تركه لنا من الحان رائعة مثل فوك النخل فوك وزوروني كل سنة مره التي طورها الموسيقار الكبير سيد درويش، وربيتك اصغيرون حسن، وياخشوف العلى المجرية، بنت المعبود، ويا ام العيون السود، وغيرها، ونعيد ذكرى شعرائنا وأدبائنا وفنانينا وعلمائنا مثل باقي دول العالم التي تمجد عظمائها الذين تركو بصمات جميلة على حين أمصارها، بدلاً من اردد قول الشاعر الكبير محمد مهدي الجواهري إلى الشاعر العراقي الكبير معروف الرصافي مخاطباً

أهز بك الجيل الذي لاتهزه – نوابغه حتى ترو المقابرا

القصيدة التي حيا بها مطرب العراق الاستاذ القبانجي وغناها بالاحتفال بذكرى وفاة الموصلي

بالألم لاتزد مافي من ألم – ففي فؤادي من آلام يكفيني

هيجت في النفس من مكنونها حرقاً – ودمع عيني يبكيها ويبكيني

فأرحم دموعي جزاك الله مكرمة – فانني ساهر والدمع يؤذيني

عثمان ياخالق الانغام ليلتنا – طابت بذكرك في عذب التلاحين

إني أحييك من روحي ومن نغمي – تحيتي مهجتي من بعد خمسين

×××

تصدّر الملا عثمان الموصلي الموكب الكبير القاصد الإمامين موسى الكاظم ومحمد الجواد عليهما السلام عند إزاحة الستار عن قبتيهما الطاهرتين والتي نظمها شعراً الشاعر الكبير السيد عبد الباقي العمري رحمه الله (وافتك ياموسى أبن جعفر تحفة)

وافتك ياموسى أبن جعفر تحفة – منها يلوح لنا الطراز الأول

رفعت على العنوان من ديباجها – ديباجة الشرق الذي لايجهل

كم جاوزت قبراً لجدك فاكتست – مجداً له أنحط السماك الأعزل

وتقدست اذ جللت جدثاً توى – في لحده المدثر المزمل

نشرت فضاح من النبوة نشرها – مالمسك مانفحاته مالعذل

أعطيت مالم يحظ يعقوب به – افخار جدكموا أليكم تنقل.

ذاكرة القلم

الملا عثمان وليالي رمضان

عبد الوهاب الشيخلي
باحث وناقد موسيقي راحل

في عام ١٩٧٨ اشار علي الشيخ جلال الحنفي الى ضرورة اجراء لقاء مع الحاج عبد الفتاح معروف الذي كان حينذاك يقترب من عامه التسعين – فذهبنا سوية الى بيته.. وهناك التقيت بالحاج عبد الفتاح الذي فتح لنا قلبه وباب داره العامرة.. واطلعني على دفتر صغير يعود الى عام ١٩١٧ كتب فيه بعض الموشحات التي اخذها عن الملا عثمان الموصلي الذي طبقت شهرته الافاق.. تحدث الحاج عبد الفتاح معروف عن مسيرته الطويلة من القرآن الكريم وكان اول من تلقيت عليهم الدروس هو شيخ يوسف الواعظ في سوق حمادة سنة ١٩١٠.. كنت في البداية اعتمد على جمال صوتي دون ان تكون لي اية خبرة في صول التجويد.. لوكني عندما انتقلت الى مسجد محمد سعيد افندي الدولعي.. اخذت في دراسة علم القراءة والتجويد على يديه وبعد مدة من الزمن اخذت اتردد على محل حاج حمادي للحياكة وهناك تعرفت على عدد من المقرئين وتاثرت بهم ومنهم ملا نصيف وحاج حمادي وجاسم محمد سلامة الذي يعتبر من خيرة المقرئين في ذلك الحين.. وكانت الانعطافة الكبرى في حياته عندما تعرفت على الملا عثمان الموصلي عام ١٩١٤ عندما قدم الى بغداد ونزل في بيت عبد الله خيوكه.. وفي دار الحاج عبد الله خيوكه كنت اقرأ القرآن الكريم مع عدد من القراء المعروفين وخاصة في رمضان المبارك ومنهم: جاسم محمد سلامة واحمد الاعظمي وحاج خليل وفي يوم من الايام رغب الملا عثمان الموصلي ان يستمع الينا.. وكان تاثره عظيما باسلوب ملا جاسم محمد سلامة في تلاوة القرآن حتى قال له: لو كنت اعرف ان في بغداد من يقرأ القرآن الكريم على هذه الصورة لما حضرت اليها!

× وبعد فترة من الزمن انتقل الملا عثمان الموصلي الى جامع الخفافين فدرست على يديه علم التجويد واكد لي على ضرورة الاهتمام بالانغام وعدم البدء من الجوابات – المناطق العليا – بل لابد من التدرج والتعرف على الانتقالات النغمية ثم العودة الى النغم الاصلي الذي بدأت به.

× وواصل الحاج عبد الفتاح معروف – الذي توقف عن قراءة القرآن الكريم في الاذاعة عام ١٩٤٥ وسجل على الاسطوانات في مستهل ايام شبابه بعض المقامات العراقية – حديثه عن تعدد مواهب عثمان الموصلي ونبوغه فقال: كان شاعرا واديبا وخطيبا مفوها.. يعزف على الناي فياخذ بمجامع القلوب ويضرب على الدف والنقارة باسلوب لايجاريه فيه احد من الفنانين المحترفين .. وكان يتمتع بذاكرة قوية جدا.. اي لحن يستمع له يحفظه من المرة اما المناقب النبوية التي كان يقيمها مع بطانته وكنت احد اعضاء تلك البطانة مع المرحوم احمد شعبان وعدد من ذوي الاصوات المؤثرة فكانت تستاثر باهتمام الجمهور فيجتمعون داخل المسجد او الدار التي تقام فيها المنقبة التي تستمر احيانا حتى ساعة متاخرة من الليل.. كان الملا عثمان الموصلي يمتلك شخصية فنية ودينية مؤثرة.. رغم ان صوته من الاصوات الخشنة التي لا تنطبق عليها مواصفات الاصوات الجميلة.. لقد عوض عن ذلك بحسن الاداء والمقدرة الفائقة على انتقاء القصائد والالحان وكان اسمه اشد لمعانا في شهر رمضان من كل عام الى حين وفاته عام ١٩٢٣ في يوم عاصف وممطر.

ومازلت اذكر انه اول من تنبا للشاب محمد القبانجي بمستقبل عظيم عندما تجرأ وانشد بحضوره في احدى المناقب النبوية الشريفة احد المقامات العراقية وبما يتناسب مع جلال المناسبة الدينية.

الاذاعة والتلفزيون 1978

الشاعر الموسيقار عثمان الموصلي

د. عمر الطالب
اكاديمي عراقي

ولد عثمان الموصلي عام ١٨٥٤م ، وكان والده الحاج عبد الله ، سقاء توارث المهنة عن أجداده. توفي والده وهو في السابعة من عمره ، وما لبث أن أصيب بفقد بصره متأثرا بمرض الجدري الذي أصيب به وضمه جاره محمود بن سليمان العمري إلى أولاده وجعله موضع عنايته وعين له معلما حفظه القرآن وقد أعجب محمود أفندي بصوت عثمان فخصص له معلماً يعلمه الموسيقى والألحان ، فنبغ بها وحفظ الأشعار والقصائد ، وشرع عثمان في تعلم علوم العربية على علماء عصره كالشيخ عمر الأربيلي وصالح الخطيب وعبد الله فيضي الخضري وغيرهم ، وكان مولده في محلة باب العراق بالموصل.

وعندما توفي محمود أفندي العمري عام ١٨٦٥م ترك عثمان مدينة الموصل إلى بغداد وكان في العقد الثالث من عمره ، وتلقاه بالتكريم احمد عزة باشا العمري ابن محمود أفندي. واسكنه عنده ، واشتهر هناك بقراءة المولد فخف الناس به ، ودرس عثمان صحيح البخاري على داود أفندي وبهاء الحق أفندي الهندي. وذهب إلى الحج ثم عاد إلى الموصل عام ١٨٨٦ ، وتتبع الدرس فيها على يد الشيخ محمد بن جرجيس الموصلي الشهير بالنوري. وأخذ عنه الطريقة القادرية ، وهي إحدى الطرق الصوفية الشهيرة في الموصل. وقرأ القراءات السبع على الطريقة الشاطبية على المقرئ الشيخ محمد بن حسن وأجازه فيها.

وسافر إلى اسطنبول حيث تلقاه احمد عزة باشا العمري ، وعرّفه على مشاهير الناس وعلمائهم ، وأخذ عن الشيخ مخفي أفندي القراءات العشر والتكبيرات وأجازه فيها. ورأى الملا عثمان أن يوسع معارفه فسافر إلى مصر وأخذ عن الشيخ يوسف عجور إمام الشافعية القراءات العشر والتهليل والتحميد وأجازه فيها. وعاد من مصر إلى الموصل ، وكان قد درس في بغداد على الشيخ محمود شكري الآلوسي وسافر الملا عثمان إلى استانبول أكثر من مرة واستمع إليه الناس في جامع (أيا صوفيا) وأعجبوا به وأصبح مقصداً للمجتمع الأدبي والفني. وأهم الشخصيات التي تعرف بها في استانبول محمد أبو الهدى الصيادي وأخذ عنه الطريقة الرفاعية ، وفتح أمامه آفاقاً بتقديمه إلى السلطان عبد الحميد. وقربه السلطان وسمح له دخول قصوره وقصور الحريم متى شاء ، وظل الملا عثمان مقرباً من البلاط في استانبول وكان موضع عناية الخليفة العثماني ، وكان يعتمد عليه شخصياً في إيفاده إلى بعض أنحاء الإمبراطورية العثمانية لأغراض سياسية ، وكان يخطب في الحج باسم السلطان عبد الحميد بتخويل منه.

تمثال الملا عثمان في الموصل

والتقى عند ذهابه إلى مصر عام ١٨٩٥ بالموسيقار عبده الحمولي وغيره من رجال الموسيقى والفن ودرسوا عليه فنون الموشحات ، والتقى عام ١٩٠٩ بسيد درويش في الشام ، ودرس عليه سيد درويش الموشحات وفنون الموسيقى ، وقام بتخميس لامية البوصيري وأطلق عليها (الهدية الشامية على القصيدة اللامية).

وقد أرسله السلطان عبد الحميد إلى ليبيا لمعرفة المقاصد السياسية للسنوسي فأكرمه أجل إكرام.

القراءات والموسيقى:

ازدهرت مدن العراق بالمقرئين المجيدين وكانت الموصل في مقدمة هذه المدن منذ العهد العباسي واشتهرت بمدارس القرآن الكثيرة التي تدرس فيها علوم التجويد والإقراء حسب القراءات المشهورة مع التدريب على أصولها ، وكان التدريس فيها على أئمة القراءة وأساتذة التجويد المشهورين حيث يجاز على أيديهم عدد كبير من الطلاب يمنحون إجازاتهم في حفل كبير كل عام وقد ظهر في الموصل قراء مشهورون توارثوا القراءة عن بعضهم كالملا سعد الدين بن محمد أمين بن سعد الدين شيخ القراء وأحد أبناء الموصل المعروفين ، ومحمود حموشي الموصلي المتوفى عام ١٣٣٧هـ. والملا عثمان الذي كان قارئاً ومقرئاً أي أستاذا في القراءات ، وكان الطلبة ينهلون من علمه ومعرفته. ودرّس في بغداد في جامعي الخفافين والمرادية وأشهر من درس عليه محمد بهجة الأثري ومحمد صالح الجوادي الذي تخرج عليه جيل من القراء.

وينصرف الملا عثمان في أشعاره وقصائده إلى مدح الرسول (صلى الله عليه وسلم) وآل البيت وألف كتباً في ذلك ، وقد ساعده ذلك أن يكون من شعراء الموالد النبوية والموشحات ، ويعد مدرسة كاملة في الموشحات ومن أبرزهم في العراق. وذكر أن له خمسين موشحاً جميعها ذات الحان رائعة تناقلت ما بين العراق والشام ومصر.

ومنها على نغم الحجاز مطلعها (من لصب بالهجر مرمى) و(يا عترة طه بكم الصب متيم) ومنها على نغم صبا مطلعها (خفت البلوى دوم نفرح) وعلى نغم بياتي ديوان (ويحك يا نفس أطيعي) و(طه يا مالكي رفقاً يا مدركي) وعلى نغم حجاز كار(لي فؤاد منّ لعلي) و(خلي ملامك يا عاذلي) وغير ذلك عشرات الموشحات ذات الألحان الجميلة ، التي كانت تنظم وتحفظ وتنشر في البلاد ، وكانت قراءة الموشحات والأذكار النبوية تلتزم وجود فرقة كاملة من المنشدين الذين يساعدون في أداء النغم ، يمرنهم الملا عثمان ، ويتخرج على يديه عدد من المنشدين الجيدين باستمرار ومنهم من نال شهرة مثل الحافظ ملا مهدي الذي انتهت إليه رئاسة الأذكار النبوية في بغداد فترة من الزمن. والشيخ محمد الملاح في الموصل. والحاج محمد بن سرحان وهو قارئ وعالم من علماء الموصل.

واتصل عثمان الموصلي عندما كان في مصر بأقطاب المولوية ويحضر معهم جلسات الذكر بدافع حبه للموسيقى وانتسب بعدئذ إلى هذه الطريقة كما انتسب إليها ابنه احمد فكلفه أبوه بتعمير مسجد شمس الدين في الموصل ليكون تكية مولوية ، ومركزاً لتجديد هذه الطريقة ونشرها في العراق. وافتتحها عام ١٩١٠ وشكل عثمان فرقة موسيقية تكون نواة لجماعة المولوية في الموصل ، إلاّ أنها اضمحلت بعد الحرب العالمية الأولى.

يعد الملا عثمان من أقطاب الموسيقى في الشرق خلال الربع الأول من هذا القرن ، وله فضل في تطويرها وإدخال التجديد عليها ، ودرس الموسيقى على (شلتاغ) المشهور بغناء المقامات وعلى (عبد الله الكركوكلي) وغيرهما من أساتذة الفن ، وكان صوت عثمان حلواً دافئاً من طبقة غليظة يشبه صوتي محمد رفعت ومحمود صبح بل هو أضخم من صوتيهما وأجمل ولازم صوته الجميل قدرته الموسيقية العالية وكان للقائه بعبده الحمولي في مصر الأثر الكبير في تطوير قدرته الموسيقية وأخذ عبده الحمولي عن عثمان الموصلي الموشحات ومزجها بالأدوار المصرية. وقد أدخل عثمان الموصلي إلى مصر نغمات (الحجاز كار والنهاوند وفرعهما) وكانت مجهولة في مصر.

ودرس على عثمان الموصلي في مصر كل من (كامل الخلعي) الذي أخذ منه الموشحات المقامة على الأوزان التركية والشامية. و(الشيخ علي محمود) وهو أستاذ زكريا احمد. وأخذ (سيد درويش) عن عثمان الموصلي أصول الموشحات التركية والعربية. و(احمد أبو خليل قباني) الذي أدخل الفن إلى سوريا. وأخذ عنه كذلك في تركيا (سامي بيك) رئيس أكبر فرقة موسيقية تركية. والمغنية (نصيب) وقد أخذوا عنه الموشحات والغزل التركي.

ومزج عثمان الموصلي بين الموسيقى العربية والتركية بإدخاله المقامات العراقية بالغناء التركي فكان يقرأ مقام البياتي والعشاق الترك على أسلوب مقام المنصوري الموصل. وقد لحن كثيراً من الأغاني وسجلها على اسطوانات.

وقد بقيت أربع اسطوانات في حالة جيدة. الأولى من مقام الراست والثانية من مقام المنصوري والثالثة من مقام الشهري ويغني فيها أغنية من نظمه وتلحينه. مطلعها (للعاشق في الهوى دلائل). والرابعة من مقام السيكاه.

ثم يعقبها بقوله: (يا أهل الحدباء يا أغاني يا عيوني هذا القوان اسمعوه بعد موتي وأنا الملا عثمان والسلام عليكم).

ونقل الملا عثمان إلى المقامات العراقية عن الموسيقى التركية مقام الديوان ، ونقل عن موسيقى الجيش التركي نغمة تسمى (سيد هواسي) من مقام الرست ونظم عليها التنزيلة المشهورة (يا آل طه فيكم قد هام المضنى يرجوكم). ورفع من شأن الموسيقى في العراق وأدخل التجديد في أساليبها. وكان يميز بين الأنغام ويضبط المقام ويجيد العزف على آلتي العود والقانون بشكل متقن. وهو يعزف ويحفظ حروفها بالسماع ويخرجها عند العزف بأنصافها وأرباعها ، وله أسلوبه الخاص في غناء الأدوار المصرية ، وهو في غنائه معبر يعطي صورة صادقة للكلمة عند غنائها ويجعلها تنبض بالحياة.

ومن الذي تلقوا فن الغناء والموسيقى على يديه في العراق (محمد علي خيوكه) والد المغني حسن خيوكه ، و(حسين علي الصفو) وهو من قراء المقامات في الموصل و(عبد الرزاق القبانجي) والد محمد القبانجي و(الحاج سلو الجزمجي) و(سيد احمد الموصلي) وأخذ عنه قصيدة: للعاشق في الهوى دلائل لو يسمع من كلام عاذل

ومن ألحانه على نغم السيكاه الزهيري الذي مطلعه:

نار المحبة بنات ضمائري فاطمة ورضيع صبري تعنّد بالهوى فاطمة من حيث سحب التجافي وسيولها فاطمة أصبحت كالحائر المبهوت في كربلا

ولحن على نغم السيكاه قصيدة عبد الباقي العمري التي مطلعها:

وأفتك يا موسى بن جعفر تحفه منها بلوغ لنا الطراز الأول

ومن ألحانه الذائعة (يا خشوف على المكريه) وهي من نغم السيكاه. وقد أنشدت في المؤتمر الدولي للموسيقى العربية المنعقد في بغداد عام ١٩٦٤ تكريماً له.

وكان عثمان الموصلي عالماً بالفلك وخطيباً شارك في المناسبات الوطنية والدينية ويخطب ارتجالا لساعات.

وقد برع الملا عثمان في التشطير وتخميس القصائد حتى لا يكاد المرء يفرق بين الشطر الأصلي من البيت والشطر الجديد.

وللملا عثمان شعر من لزوم ما لا يلزم التزمه بوضع أسماء السور القرآنية حسب ترتيبها في القرآن الكريم مضمنا فيها أبيات قصيدة يمتدح فيها الرسول الكريم وهي على نهج قصيدة البردة وقد أجاد فيها ولاسيما في اشتقاق المعاني من أسماء السور للحصول على معنى يمتدح به الرسول الكريم وقد نشرها في كتابه (سعادة الدارين) في عام ١٣١٨ هـ.

عن كتاب مقالات في الثقافة بغداد 1982

اخر تلامذة الموصلي

الملا عبد الفتاح معروف:
كنا ننشد لاستقلال العراق سنة 1920

كمال لطيف سالم

في عام ١٨٦٥ قدم عثمان الموصلي الى بغداد بعد ان سمع اخبارها من ابناء بلدته وفي بغداد اخذ اصول المقام من الحاج عبد الله كركوكلي. ومن رحمة الله بن سلطان المشهور بـ «شلتاغ» وعندما استقامت موهبته في القراءة والتلاوة شد الرحال الى اسطنبول وطرابلس والقاهرة والشام، ثم ساقه الحنين الى بغداد فرجع اليها ثانية غير انه نفي مرة ثانية الى سيواس فماذا يقول المرحوم عبدالفتاح معروف عن ذكرياته مع ملا عثمان الموصلي.

اذكر انني في سن العاشرة او اكثر كنت اذهب الى جامع حنان يوم الجمعة حيث كان يقدم احد المعينين في الجامع وهو سيد حسين من البصرة الذي كان يقرأ المولد ولكنه لا يمتلك صوتا جميلا رغم سلامة الفاظه وادائه مما كان ذلك سببا لان اقوم بادارة المولد وانا في هذا السن. وبعد سنوات توفي سيد حسين فطلب مني المرحوم الحاج مجيد ان اتعين في الاوقاف وبالفعل قدمت طلبا وعرضت على اللجنة التي كانت مكونة من ابرز علماء بغداد واذكر منهم عبد الوهاب النائب الحاج علي الالوسي وشكري افندي الالوسي فطلبوا مني ان اقدم لهم ما احفظ من ايات وتلاوات وما ان انساب صوتي حتى اخذوا يطلبون المزيد وكانت النتيجة انني عينت في جامع حنان ولما ذاع صيتي اخذت ترد علي الطلبات لكي اقرأ في جامع مرجان. مقابل مجيديين وفي السنة الثانية طلب مني اعتذرت بسبب الحر رغم انه خصص لي ليرتين في الشهر مع الملابس وكان ذلك سنة ١٩٢٠.

ونعرف انك بالاضافة الى تتلمذك في صدر حياتك على يد الملا عثمان الموصلي تجيد قراءة المقام وقد سجلت عددا من المقامات.

ان المولود يعتبر مائدة كبيرة فيها كل الالوان وكذلك فيه معظم الانغام العراقية ومنها المقام وقد اخذت اصول المقام من سيد محمد العبدلي مثل مقام الخنبات والمنصوري. بعدها قرأت من دار الاذاعة عندما افتتحت في ١٩٣١/٧/١ وكان معي انذاك المرحوم عبد الامير طوبرجاوي والحافظ مهدي ورشيد القندرجي واذكر انني قرأت مقام الخنبات اذكر بعض ابياته.

اقيمي مكان البدر
ان افل البدر
وقومي مقام الشمس
ما استاخر الفجر

كما سجلت من الشعر المذيل:

يا ابن الوطن فق لازم تعي
الف من البشر استيقظ
وصاح الديك اوعى وعي
وقرأت في العلم
امك سمتك يا ابن الوطن ظافر
ليل انهار يابني للوطن ساهر

× تشهد الاحداث السياسية والوطنية انك كنت واحدا ممن انشدوا لاستقلال العراق العظيم..؟

لازلت اذكر اول اجتماع عقد في اخر ليلة من شهر شعبان سنة ١٩٢٠ في جامع الحيدر خانه وعقد اجتماع اخر في ليلة ٦ رمضان فقرأ الحافظ الملا عثمان الموصلي تلاوة المثقبة النبوية الشريفة فالهب حماس الناس وراح يخطب بعد ذلك مطالبا بالاستقلال وقد اشتركت انا في تلك المناسبة فقرأت عددا من الابوذيات منها على ما اذكر.

لبيك يا ارض الجزيرة فاسمعي
ما شئت من شدوي وانشادي
انا لا افرق بين اهلك انهم
اهلي وانت بلادي

× بعد هذه السنوات ما الذي يمكن لك ان تقوله عن اصول التلاوة؟

لدي الكثير من الانطباعات التي استطيع من خلالها ان احدد بعض المقارنات التي تجد من خلالها الارتداد والانحسار في الابداع فعلى مستوى ما يقدم في المناقب بعد ابتعادا واضحا عن الاصول التي رسم ملامحها الملا عثمان الموصلي والتي ارساها تلامذته من بعده خاصة الانغام البغدادية واصول المقام اليوم لم نعد نسمع سوى نواح يراد من خلاله الارتزاق لا اكثر ناهيك عن الانغام التي لا اعرف من اين اتوا بها كنا نسمع المناقب بخشوع ورهبة لاننا كنا امام قراء كبار وامام اصول وانغام.

اما عن المقام العراقي وسبب ابتعاد الجيل عنه وعدم ظهور اصوات تخلف رشيد القندرجي ومحمد القبانجي. فرشيد كان مدرس نغم ملما باسرار المقام العراقي ولكنه لم يكن يمتلك حنجرة سليمة عكس ما تجده عند الاستاذ القبانجي.

لقد ترك المرحوم عبد الفتاح معروف المقام والناقب النبوية سنة ١٩٤٥ وكان آخر مولود شارك فيه سنة ١٩٦٣ في اربعينية ناظم الغزالي.

العملاق المنسي.. الملا عثمان الموصلي

احد اعظم الملحنين والموسيقيين في العالم العربي والامبراطورية العثمانية

زيد خلدون جميل

من منا لم يسمع اغنية <زوروني بالسنة مرة>، التي اشهر من غناها المغنية اللبنانية فيروز، وهي الاغنية التي تدعي وسائل الاعلام ان ملحنها هو الموسيقي المصري سيد درويش، وكم من كاتب وصفها بقمة الغناء المصري والعربي الاصيل ودليل على عبقرية سيد درويش، ولكن كم من المؤرخين والموسيقيين يعرفون بان سيد درويش قد اقتبس هذه الاغنية الرائعة من استاذه الموسيقار والمغني العظيم العراقي الملا عثمان الموصلي بدون ذكر حقيقة اصلها وهي الاغنية العراقية الصوفية المعنونة <زر قبر الحبيب مرة> ويا ليته كان الاقتباس الوحيد لسيد درويش من استاذه بهذا الشكل البعيد كل البعد عن العدالة.

ولد الملا عثمان بن الحاج عبد الله عام ١٨٥٤ في مدينة الموصل العربية العريقة عندما كان العراق تحت الاحتلال العثماني في بيت قديم لعائلة فقيرة جدا فقد كان والده سقاء يجلب الماء العذب من نهر دجلة. وكأن بؤس الفقر المدقع لا يكفي فعندما كان عثمان في السابعة من عمره اصيب والده بمرض لم يمهله سوى بضعة ايام حتى توفي تاركا اولاده برعاية امهم المعدمة التي عملت خادمة لدى محمود افندي العمري سليل عائلة العمري اعرق عوائل العراق وشقيق عبد الباقي العمري الشاعر العربي الشهير في القرن التاسع عشر. ولم تكن هذه نهاية كوارث عثمان فقد غزا وباء الجدري المدينة في نفس السنة طاحنا الكثير من سكانها، ولم يرحم عثمان فقد اصابه ليشوه وجهه ويفقده بصره ليغرق في عالم الظلام لبقية حياته.

احتضنت عائلة العمري عثمان وحرصت على تعليمه القرآن الكريم والشعر والموسيقى وقد ساعد عثمان في التفوق في هذه الميادين حدة الذكاء وصوت جميل وقابلية الحفظ غير العادية اذهلت كل من عرفه وجعلته متفوقا دائما على اقرانه. وقد صاحب هذا خصلتان لا يتوقعهما المرء في من هو في مثل معاناة عثمان وهما خفة دمه ولطافة معشره، وقد فتحتا له الابواب وجعلته جليسا ومستمعا وقادرا على كسب ود الجميع بدون تزلف او مشقة. وقد تعمق عثمان في دراسة الدين حتى ارتدى زي رجال الدين وهو الزي الذي لم يتركه طيلة حياته. وقد ترك عثمان الموصل متوجها الى بغداد بسبب وفاة محمود افندي لينضم الى ابنه احمد العمري الذي اصبح من باشوات الدولة العثمانية واديب كبير.

كانت بغداد نقطة تحول بارزة في مسيرة عثمان، ففيها تتلمذ على يد رحمة الله شلتاغ، سيد المقام العراقي آنذاك ومبتكر مقام التفليس، واخرين، وفيها خاض اول تجربة سياسية له فقد انتقد الدولة العثمانية في خطبة له ادت الى نفيه الى سيواس في تركيا عام ١٨٨٦ لفترة قصيرة ليعود بعدها الى الموصل وفيها تابع دراسة قراءة القرآن الكريم وانضم الى الطريقة القادرية الصوفية، التي تخرج على يدها الكثير من القراء المعروفين في الموصل وانضم بعد ذلك الى الطرق الصوفية الرفاعية والمولوية. علينا التوقف هنا للتمعن في ما كان من الممكن ان يقنع عثمان في الدخول في الصوفية.

لقد تميزت اغلب الطرق الصوفية بميزتين اساسيتين لاولاهما استعمال الموسيقى في نشاطاتها منذ القرن التاسع الميلادي وتطورت في هذا لتكون مدارس متميزة في الموسيقى والغناء وذات تأثير واضح على موسيقى الشرق الاوسط، وقد ظهرت نشاطات مشابهة لدى الرهبان المسيحيين في اوروبا في العصور الوسطى وقد تطور هذا بشكل بارز فاستعانت الكنيسة المسيحية بابرز الموسيقيين مثل يوهان سباستين باخ ولا تزال الموسيقى جزءا اساسيا في النشاط الكنسي. اما الميزة الثانية فكونها ملاذ الوحيدين والياسين بسبب التكاتف بين افرادها وكأنهم عائلة واحدة. وهذا يجعلنا نعتقد بأن خفة الدم التي كان يتميز بها عثمان لم يكن سوى غطاء لنفس معذبة غارقة في عالم مظلم مليء بالاصوات. وقد دعمت الدولة العثمانية الطرق الصوفية بكل الوسائل. وقد تعمق عثمان في هذا المجال وبرز في اكثر من طريقة صوفية مثل القادرية والرفاعية والمولوية واتقن اللغتين الفارسية والتركية وهما الى جانب العربية في غاية الاهمية لدراسة التصوف.

انتقل عثمان الى اسطنبول وبرز فيها بسرعة ليصبح اشهر قارئ للقرآن وملحن ومغن فيها وانتشر اسمه في كل مكان حتى سمع عنه السلطان عبد الحميد فجلبه الى قصره عن طريق القبض عليه ليسمعه شيئا من اغانيه. وقد برع عثمان في ادائه وكرر الزيارة عدة مرات بل انه قام بالغناء امام حريم القصر وتطور الامر ليقوم عثمان بمهام رسمية للسلطان عبد الحميد. وكانت اسطنبول عاصمة الامبراطورية العثمانية ومركز ثقافتها ومن يبرز فيها يعرف اسمه في جميع انحاء الامبراطورية وقد ساعد هذا عثمان وجعله مرحبا به اينما ذهب ومكنه من تأسيس علاقات وطيدة مع مشاهير عصره.

كلما دخل عثمان بلدا غنى وتعلم وعلم واعتبر الابرز في الغناء والتجويد فيه، ففي مصر ادخل نغمات الحجاز كار والنهاوند وفروعهما وقام بادخال المقام العراقي مثل المقام المنصوري والموصلي في الغناء التركي ولا يزال هذا الطراز يسمى في تركيا بطراز الحافظ عثمان الموصلي. ومن مشاهير تلامذته في مصر محمد كامل الخلعي، احمد ابو خليل القباني وعلي محمود ومحمد رفعة، وفي العراق الحاج محمد بن الحاج حسين الملاح والحاج محمد بن سرحان ومحمد صالح الجوادي ومحمد بهجة الاثري وحافظ جميل، واما اشهرهم فكان الموسيقار المصري سيد درويش الذي التقى عثمان في دمشق ودرس على يده لمدة ثلاث سنوات وقام باقتباس موشحات دينية واغان كثيرة من عثمان الذي كان له الفضل الاكبر في نمو مواهب سيد درويش ووصوله الى تلك المرتبة المتقدمة. واشهر ما اقتبسه سيد درويش كان اغنية <زوروني بالسنة مرة> التي كانت موشحا دينيا بعنوان <زر قبر الحبيب مرة> واغنية <طلعت يا محلى نورها> التي كانت موشحات بعنوان <بهوى المختار المهدي>.

ما انتجه عثمان من موشحات واغان اكبر من ان يذكر بالتفصيل في مقال بسيط مثل هذا الا انني سأذكر اشهرها:

× <زوروني بالسنة مرة>
× <طلعت يا محلى نورها>
× <أسمر ابو شامة> الذي اخذ من موشح لعثمان الموصلي بعنوان <احمد اتانا بحسنه سبانا>
× <فوق النخل فوق> الذي اخذ من موشح لعثمان الموصلي بعنوان <فوق العرش فوق>
× <ربيتك زغيرون حسن> الذي اخذ من موشح لعثمان الموصلي بعنوان <يا صفوة الرحمن سكن>
× <لغة العرب اذكرينا> التي غناها المطرب العراقي الشهير المرحوم يوسف عمر واقتبسها فنانون لبنانيون وهنود تحت عناوين مختلفة
× <يا ناس دلوني> الذي أخذ من قبل محمد العاشق من موشح لعثمان الموصلي بعنوان <صلوا على خير مضر>.
× <يا أم العيون السود> التي غناها ناظم الغزالي.
× <يا من لعبت> التي غناها ناظم الغزالي.
× <قوموا صلوا> ناظم الغزالي.

عرف عن عثمان قابليته على التعرف على الرجال من لمس أياديهم وله في هذا أمثلة كثيرة كما عرف عنه تمييزه للنساء من مشيتهن ومن طرائقه انه كان يعظ في مسجد في اسطنبول عام ١٩٠٥ وعندما اطال واسهب نبهه بعض معارفه من وجهاء العراق بوجودهم فقال منغما في اثناء ترتيله <يا فؤاد، يا موسى، يا وفيق، انني انتهي قريبا، فانتظروني>.

واعتقد الأتراك الموجودون في المسجد ان ذلك من جملة التراتيل فأخذوا يردون على أقواله: آمين، آمين. وفي احدى الليالي كان يسير برفقة حفيده ممسكا بيده وراجعا الى الدار واجتازا الزقاق المعروف بعقد النصارى. وبينما هما في طريقهما صار الشيخ عثمان يصغي بسمعه الى جهة ما ثم توقف تحت نافذة ينبعث منها ضوء خافت. فقال له حفيده:

× ما بك يا جدي؟
× اسمع!.. الا تسمع صوت عزف عود؟
× نعم.... وماذا؟
× ان هذا العازف قتلني!.. دلني على الباب.

فتقدم حفيده به خطوات نحو باب قريب منهما. فجاء الشيخ وقرعه بعصاه الغليظة وصاح: يا عازف العود... او وتر النوى نازل، شده قليلا.

وكان عثمان ناشرا معروفا للكتب وأشهرها: الأبكار الحسان في مدح سيد الأكوان (١٨٩٥)، تخميس لامية البوصيري (١٨٩٥)، المراثي الموصلية في العلماء المصرية (١٨٩٧)، مجموعة سعادة الدارين (١٨٩٨)، الأجوبة العراقية لأبي الثناء الآلوسي (١٨٩٠) والترياق الفاروقي وهو ديوان عبد الباقي العمري (١٨٩٨). ونشر كتبا لغيره مثل <حل الرموز وكشف الكنوز> وقام باصدار مجلة في مصر تدعى <مجلة المعارف> وفتح دكانا في اسطنبول ببيع الكتب.

وامتاز عثمان الموصلي بخصال وطنية بارزة فكان من اكبر مؤيدي استقلال العراق من الاحتلال البريطاني، وله في هذا مواقف كثيرة لا تخلو من روح النكتة، ففي خلال تجمع جماهيري في الكاظمية لمقاومة الاحتلال البريطاني سمع الحاضرون صوت أزيز غريب وظنوا انه صوت طائرة معادية وكانت النتيجة هروبهم جميعا مذعورين وتاركين عثمان وحده وهو الذي ميز حقيقة مصدر الصوت الذي لم يكن سوى احد المصابيح الغازية (لوكس). فقال عثمان متهكما: لا والله حصلنا استقلالا.

على الرغم من كونه مرحا، عذب المعشر، مرهف الحس، سريع البديهة، أعظم المغنين، شيخ قراء القرآن، ملحنا يمتاز بطابع البهجة، مغنيا، رجل دين، لاعب شطرنج ماهرا، لا يعرف النسيان، عازفا بارعا للعود والطبلة والقانون والناي، ناشرا للكتب ومؤلفا لها الا ان هذا لا يخفي الطبيعة البائسة للرجل التي كان كل من درسه بعمق يكتشفها: ارتماؤه في احضان الصوفيين وانشغاله الدائم في مختلف الفنون لم يكونا سوى وسيلة له لنسيان بؤسه في عالم الظلام وشعوره المخيف بالوحدة في عالم لا يستطيع رؤيته، وشعوره المخيف بالوحدة جعله لا ينسى اصدقاءه المقربين الذين رثاهم وكتب عنهم. ومن الواضح ان نفسيته المضطربة كانت عاملا مهما في حبه للتنقل وكأنه غير قادر على العثور على راحة البال في اي مكان. وانتهى عذاب هذا العملاق يوم الثلاثاء المصادف ٣٠ كانون الثاني (يناير) ١٩٢٣ في بغداد تاركا إرثا عظيما ارجو ان لا ينساه العرب كما نسوا غيره فمن نسي تاريخه تاه في درب الحياة.

انتقل عثمان الى اسطنبول وبرز فيها بسرعة ليصبح اشهر قارئ للقرآن وملحن ومغن فيها وانتشر اسمه في كل مكان حتى سمع عنه السلطان عبد الحميد فجلبه الى قصره عن طريق القبض عليه ليسمعه شيئا من اغانيه.

وقد برع عثمان في ادائه وكرر الزيارة عدة مرات بل انه قام بالغناء امام حريم القصر وتطور الامر ليقوم عثمان بمهام رسمية للسلطان عبد الحميد.

الملا عثمان الموصلي
مؤسس مدرسة الانشاد الديني

فارس سعد الدين

على الرغم من نشأة الفقر والحرمان التي امتاز بها شيخ الموسيقيين والشعراء الملا عثمان المولوي الموصلي عند ولادته بالموصل عام ١٨٥٤ تأبن رابع لوالده السقاء (عبدالله) حيث لم تكن تلك المهنة (السقاية) توفر للمشتغلين فيها حياة مرفهة، فقد ازداد اصراراً على السعي وراء العلم والادب، وهو الصبي الذي ابتلاه الله بمحن كثيرة منها وفاة والده وهو في سن السابعة من عمره،

لم يشتد عوده على المواجهة لحياة الفقر المدقع الذي كانت تعانيه العائلة، ومن اصابته بمرض الجدري اللعين الذي كان منتشراً في ذلك الزمن وهو ابن الثامنة والذي سرى بجسده ليلقيه آخر المطاف بصيراً.

لكنه اصر على السعي والاجتهاد وطلب العلم والمعرفة، حتى تصدر المجالس شيئاً فشيئاً كقارئ للقرآن الكريم، على القراءات السبع، ثم العشر، ثم اصبح خطيباً مفوهاً، ومداحاً مميزاً وملحناً مبدعاً.

وبرع في علم الموسيقى والاوتار والشعر بعد ان كفله (محمود العمري) وكان من رجالات الموصل المبرزين في وقته، وكانت داره بمثابة منتدى لرجالات الموصل من العلماء والشعراء والخطباء والادباء والفنانين، وقد نشأ الفتى الموهوب الملا عثمان مع اولاد العمري اخاً وصديقاً، لكنه امتاز عنهم بابداعه المتشعب في مضارب العلوم والادب والفنون، فهو القارئ المجد للقرآن الكريم، وهو الشاعر المتصوف وهو الموسيقي المنشد صاحب الصوت العذب، وقد استطاع في مرحلة مبكرة من شبابه ان يؤسس المدرسة المقامية المولوية المتخصصة بالانشاد الديني بعد ان هضم ارثاً ضخماً امتد عمقه الى الدولة العباسية، مستشرقاً ما افرزته محلية مدينة الموصل التي اجادت مدرسة مقامها اجادة بالغة بما انتجه ملحنوها وقراؤها، والتي احدثت بنكهتها الخاصة النابعة بالاساس من البيئة المنفتحة والعقلية القادرة المتمكنة على التلقي، الكثير من الاضافات والتنويعات على المدارس الاخرى، اذ ان ما يميز مدرسة الموصل المقامية هي حرية التصرف الحر بالغناء حيث يتنقل القارئ او المنشد بين النغمات كما يشاء مرتجلاً الالحان حسب براعته واجادته لها وتمكنه من ادائها، ليرجع الى البداية لاختتام المقام، على عكس المدرسة البغدادية التي قيدت حدود القراءة والانشاد بمقام واحد منذ البداية وحتى الختام.

من هنا كان التنوع والاجادة والابداع الذي صاحب الموسيقار الشاب الملا عثمان في مسيرته اللحنية او الشعرية، والتي لم يبرز فيها خلال مرحلته سواه.

اما كونه بصيراً، فليس صعباً على المتقصي ان يتلمس كون العثرات التي لاقاها هذا المبدع الكبير في طرق تنقلاته اليومية كانت اكبر بكثير مما لاقاه وهو حامل لعاهة العتمة والظلام. فلم يركن الى داره، ولم ينزو او يقفل باب العلم، بل اقتحم العالم المضئ من اوسع ابوابه في ميادين العلم والادب والسياسة كذلك، متدافعاً بلطف الفنان الحساس المرهف مع المبرزين ممن زاحموا عصره على مانال من مكانة مرموقة شعبياً ورسمياً، حتى صار مطلب كل والٍ او امير او حاكم، وقد امتاز برحابة الصدر ورهافة الحس وحسن التصرف، وحبه لوطنه وارضه وشعبه الى جانب امتيازه في التفوق والابداع، حيث نهل على يديه الكثير من اعلام القرن التاسع عشر وكذلك المحدثين من عمالقة القرن العشرين من امثال سيد درويش واحمد ابو الخليل القباني وشيخ قراء مصر محمد رفعت وفي العراق، المطرب الكبير محمد القبانجي، ومثله في استانبول كاظم اوز. تنقل الشاب الموهوب الملا عثمان الموصلي سائحاً وباحثاً ومعلماً ومستشاراً، ثم سفيراً لخليفة الدولة العثمانية السلطان عبدالحميد آنذاك، وقد قادته بصيرته وطموحه وتوازنه النفسي لإصدار مجلة (المعارف) في مصر خلال الفترة من ١٨٩٥ الى ١٩٠٠ وفيها (اي في مصر خلال اقامته) اصدر كتاب سعادة الدارين، ثم اصدر كتاب المراثي الموصلية، ومن ثم كتابه الثالث (الاجوبة العراقية على الاسئلة الايرانية) وله في الشعر تخميس لقصائد ابن النحوي وابن دريد وابن الخياط الدمشقي وعبدالباقي العمري.

وقد انضوى بعد اكتمال نضجه المعرفي في مجال الموسيقى والالحان تحت عباءة (المولوية) التي اجاد فيها، وقد اباحت له هذه المدرسة (المولوية) حرية الحركة في التنغيم والتلحين لقدرتها على الجمع بين التصوف والموسيقى، فأصبح من اقطابها، وانشأ لها تكية خاصة في الموصل، بعد عودته من مصر والشام، عرفت بتكية مسجد شمس الدين في محلة باب الجديد.

لقد كان الملا عثمان المولوي الموصلي شخصية فذة حقاً رفض ان يكون رهيناً لأي واقع يملى عليه، وابى الا ان يترك فعلاً انسانياً مؤثراً يخلده على الرغم مما كان عليه من ضعف الحال وازدراء المقام وفقدانه للبصر في مطلع نشأته وقد استطاع هذا العبقري ان يؤثر في محيطه، وكان بمثابة المنارة البارزة في ابداعاته الادبية والموسيقية والإنسانية.

قيثارة النغم

د.عادل البكري
باحث موسيقي

كان عثمان الموصلي ينبوعاً لالحان وقيثارة للنغم وعلماً فرداً في الموسقى في بلاد الشرق خلال فترة تمتد من الربع الاخير للقرن التاسع عشر حتى اوائل القرن العشرين ولـه فضل في تطوير الموسيقى الربية وتجديدها. نشأ هذا النابغة محباً للموسيقى منذ نعومة إظفاره وقد اعجب مربيه مجمود افندي العمري بصوته يوم كان طفلاً يقيم في داره مع اطفاله وهو كفيف البصر اذ يأخذ بالإنشاد بصوت مرتفع يبعث على النشوة والإعجاب مما جعل مربيه العمري يعهد به الى أساتذة يعلمونه اصول الإلحان، وعندما شب عن الطوق ورحل الى بغداد اتصل بالمغني رحمة الله شلتاغ المشهور بغناء المقامات، وكذلك بالحاج عبد الله الكركوكي وهما من أساتذة الفن في العراق في القرن التاسع عشر

ودرس عليهما الغناء والموسيقى وقد اشتهر الشيخ عثمان بصوت دافئ بديع من طبقة غليظة حلوة وصفه الأستاذ محمد بهجة الأثري في مجلة لغة العرب (عدد تشرين الثاني عام ١٩٢٦) بقوله: كان صوتاً معبداً ينعش الأرواح من كبوات الاتراح وجرساً غريضياً يخرس الأطيار في أعالي الأشجار، فلم يزل يعاني الصنعة حتى جاءت منه آية نسخت آية إبراهيم الموصلي فحلق طائر صيته في سماء العراق واصبح حديث المحافل والنوادي في الأصقاع والآفاق.

وقد عرف عن هذا الفنان انه كان اقدر من يضبط المقام ويميز بين الانغام ويدل على تباين الاصوات مهما تقاربت حتى انه يميز الوتر المختل عن بقية الاوتار اذا سمع وهو في الطريق عزفاً على عود وكان احد اوتاره غير محكم الضبط فينكر اسم ذلك الوتر المختل، ولم يفعل ذلك سواه غير إبراهيم الموصلي احد كبار الموسيقيين في صدر الدولة العباسية فقد ذكر أبو الفرج الأصفهاني في كتابه (الأغاني) ان إبراهيم الموصلي كان يميز اختلال الوتر من بين مجموعة الاوتار اذا عزفت عليه احدى جواريه.

وكان عثمان الموصلي يدوزن العود والقانون بنفسه ويعزف عليهما بصورة رائعة برغم ما في ذلك من صعوبة لمن فقد بصره وكان لا يستعمل عند عزف القانون العربات التي تستعمل لإخراج انصاف الاربع بل كان يتلاعب بأنامله وأطراف أظافره فيخرج النغمات سليمة شجية مما لم يسبق لغيره ان أتى بمثله، وكان يجيد استعمال الناي ويضرب على الطبلة بسرعة هائلة تدعو الى العجب ويتقن استعمال النوتة الموسيقية الغربية ويحفظ حروفها بالسماع ويخرجها عند العزف بإنصافها وارباعها في ذلك الوقت الذي قل من سمع فيه بالنوتة الموسيقية في بلادنا.

وفي تركيا كان عثمان الموصلي يتمتع بمنزلة رفيعة بين الفنانين الإتراك وقد عينته الحكومة العثمانية مدرساً للموسيقى في احدى مدارس العاصمة استانبول تقديراً لنبوغه وعلو كعبه في هذا الفن، وكان له كثير من المعجبين والتلاميذ من مشاهير الفنانين الاتراك كالموسيقار سامي بك والمغنية الشهيرة (نصيب) فأخذوا عنه فن الموشحات والفنون الموسيقية الاخرى التي مزجوها بالموسيقى التركية.

وبذلك اوجد هذا الفنان العبقري اسلوباً من النغم مازال الاتراك يعترفون به حتى الان ويطلقون عليه اسم (اسلوب الحافظ عثمان الموصلي) وينيعون اغاني تركية على نمطه من اذاعاتهم بهذا الاسم وقد سجلوا بعضه على اسطوانات تباع في الاسواق.

كما ان لهذا الموسيقار قطعاً موسيقية كثيرة وضعها اثناء وجوده في تركيا وهي مسجلة الان في دار الاذاعة التركية في استانبول وقد اطلع عليها بعض الموسيقين العراقيين وتعزف في دار الاذاعة المذكورة، نذكر منها قطعة موسيقية من نغم (شرقي نهاوند) اطلع عليها الموسيقار جميل بشير في احدى سفراته الى تركيا فنقلها كما هي واثبتها في كتابه المسمى (العود وطريقة تدريسه) ج٢، ص١٣٠.

اما في مصر فقد كا الملا عثمان نجماً لامعاً بين اساطين الموسيقى والغناء الذين وفد التقوا حوله واعجبوا به وكان يتربع على عرش الموسيقى والطرب في مصر آنذاك المغني عبده الحمولي فكان الالتقاء بين الرجلين حافلاً حيث اعجب كل منهما بصاحبه وكانت بينهما صلات توثقت على ارهاف فني حتى انهما كانا يجتمعان الليالي الطويلة يستمع كل منهما الى صاحبه في حفلات موسيقية خاصة وما زالا كذلك حتى يدركهما الصباح.

ويذكر ادهم الجندي في كتابه (اعلام الادب والفن) ان عبده الحمولي اخذ عن عثمان الموصلي فن الموشحات ومزجها بالادوار المصرية وان الملا عثمان ادخل الى مصر نغمات الحجاز كار والنهاوند وفرعهما حيث كانت غير معروفة هناك.

وقد درس على موسيقارنا الكبير عدد من موسيقيي مصر المشهورين نذكر منهم الموسيقار كامل الخلعي وهو ملحن ومؤلف موسيقي اخذ عنه الموشحات التي على الاوزان التركية والشامية وقد اشار في كتابه (الموسيقى الشرقي) الى دراسته على عثمان الموصلي في عدة مواضع من الكتاب.

ومن الذين درسوا عليه كذلك الشيخ علي محمود مغني الأدوار المصرية والموشحات المشهور والذي تتلمذ عليه الملحن المعروف الاستاذ زكريا أحمد ومنهم كذلك الشيخ أحمد أبو خليل القباني وهو من اقطاب الموسيقى والمسرح في مصر وغير هؤلاء من الذين اخذوا عنه فنون الموشحات والإلحان.

ومن اشهر الموسيقيين المصريين الذين درسوا على عثمان الموصلي هو الموسيقار النابغة سيد درويش فقد التحق هذا الفنان في مطلع عام ١٩٠٩م بفرقة أمين عطا الله واخيه سليم عطا الله الفنية التي كانت متوجهة الى بلاد الشام لتقديم بعض الفعاليات الفنية فيها، وكان الشيخ عثمان في سوريا آنذاك الى اثناء عودته الاخيرة من استانبول الى بلاده ومكثت الفرقة خلالها بالشيخ الموصلي وظل ملازماً له طوال تلك المدة، وقد كان نجاح الفرقة في مهمتها ضئيلاً او معدوماً فرجعت الى مصر لتجند كفاءات فنية اخرى وتهيئ نفسها لرحلة ثانية بعد ثلاث سنوات ثم سافرت في رحلتها هذه وكان سيد درويش ضمن اعضائها هذه المرة أيضاً فقدمت فعالياتها في بلاد سوريا ولبنان وكان نجاحها احسن من المرة السابقة وكان سيد درويش في خلال ذلك يواصل دراسته على استاذه عثمان الموصلي الذي كان مازال مقيماً هناك وقد بقيت الفرقة مدة طويلة خلال عامي ١٩١٢-١٩١٣ استطاع فيها النابغة المصري ان يأخذ الكثير من فنون الموسيقى والموشحات من عثمان الموصلي وقد حفظ عنه كل ممتع رائع من الالحان مما جعله يتصدر كثيراً بالنغم ويدخله في اغان مصرية مبتكرة.

وقد اشاد المؤلفون المصريون الذين بحثوا في تاريخ حياة سيد درويش بالدور الذي قام به عثمان الموصلي في توجيه الموسيقار المصري وتزويده بالالحان التي اقتبس منها اغانيه بعد عودته من الشام.

ولندع الاستاذ محمد البحر وهو ابن الموسيقار سيد درويش يحدثنا عن اثر درويش اثناء رحلته الأولى والثانية فقد قال انه (تعرف خلال الرحلة الأولى بالأستاذ عثمان الموصلي واخذ عليه من التواشيح ما استطاع حفظه في تلك الفترة القصيرة)، اما عن الرحلة الثانية فقد قال عنها انها الاسكندرية بعد ان امتلأت جعبته الفنية من فن الاستاذ عثمان الموصلي، وقد حفظ الكثير من الاغاني والموشحات).

وقد عرف ان لسيد درويش في مصر نحو ٣٨ موشحاً بعضها موشحات دينية في مدح الرسول وان هذه الالحان لم تظهر في فن سيد درويش الا بعد رجوعه من الشام بعد ان التقى عثمان الموصلي وهو استاذ الموشحات الاول في بلاد الشرق.

وهناك شك في نسبة هذه الموشحات لسيد درويش حتى من النقاد المصريين انفسهم كما جاء في احد المصادر المهمة عنه حيث يشير الى ان هذه الموشحات قد تكون مما اتى به سيد درويش في رحلتيه المشهورتين الى سوريا ولبنان بعد تعرفه الى الموسيقار الكبير عثمان الموصلي.

وجاء في هذا المصدر أيضاً قوله نصاً انه ليس غريباً ان يسجل سيد درويش نوتات ما حفظه من الموصلي بخط يده حفظاً عليه من الضياع والنسيان.

وقد استطاع سيد درويش ان يطور الموسيقى المصرية حتى بلغ بها المكانة الرفيعة وكان كثير من الالحان مما اقتبسه من استاذه عثمان الموصلي يأخذ شكلاً جديداً وينتشر بشكل اغان خفيفة في طول البلاد وعرضها مثل اغنية: (طلعت يا محلي نورها) التي كانت في الاصل موشحاً دينياً من نغم الجهاركاه مطلعه: (يهوى المختار المهدي) وكذلك اغنية (زوروني بالسنة مرة) التي كانت هي الاخرى موشحاً في مدح الرسول مطلعه (زر قبر الحبيب مرة) وهكذا.

وقد درس على هذا الشيخ في العراق عدد كبير من الطلاب الذين اختصوا بالالحان والمقامات والغناء نذكر منهم محمد علي خيوكه المتوفى سنة ١٩٠٨م وحسين علي الصفو المتوفى سنة ١٩١١م وعبد الرزاق القبانجي المتوفى سنة ١٩٣١م والحاج سلو الجزمجي المتوفى بالموصل سنة ١٩٣٣ والسيد أحمد عبد القادر الموصلي المتوفى بالموصل سنة ١٩٤١م والملا مبارك المتوفى سنة ١٣٣٠هـ والحاج أحمد بن الملا كاظم بن دبيس المتوفى سنة ١٣٣٥هـ وأحمد بن شعبان المولود سنة ١٨٩٨م والحاج محمد بن سرحان المتوفى بالموصل سنة ١٩٤٩ وعبد الفتاح معروف العمري عليه، ثم دراسته الاولى في قراءة القران والمقامات الصوتية والموسيقى، وانتماءه عند بلوغه الى الطريقة القادرية وسفره الى عاصمة الخلافة العثمانية والتقائه بشيخ مشايخ الطرف الصوفية ابي الهدى الصيادي واخذه عنه الاجازة بالطريقة الرفاعية ثم دخوله قصر السلطان عبد الحميد ليكون المقرئ والمنشد له فنال عطفه مع تعيينه استاذا للموسيقى في احد معاهد العاصمة استانبول .

ولقد ترك الشيخ عثمان بصماته الفنية على الموسيقى التركية حتى ان دار الاذاعة التركية سجلت له عدة الحان باسم (طرز الحافظ عثمان الموصلي) وكانت تذيعها باستمرار من الاذاعة التركية.

وسافر الموصلي الى مصر مرتين نال في الاولى الاجازة بالقراءات العشر اما السفرة الثانية وكانت عام ١٨٩٥ والتي استمرت خمسة سنوات فقد اصدر خلالها مجلة (المعارف) وكان يومئذ صحفيا الى جانب كونه سياسيا مندوبا عن السلطان العثماني ومؤلفا لعدد من الكتب و استاذا للموسيقى يلتف حوله عدد من كبار الموسيقيين مثل كامل الخلعي والشيخ علي محمود مغني الادوار المصرية والموشحات والشيخ احمد ابو خليل القباني الذي هو من اقطاب الموسيقى والمسرح في مصر وكان من ابرز هؤلاء سيد درويش نابغة الموسيقى المصرية وقد درس عليه في دمشق واقتبس منه عدة الحان مثل لحن اغنية (زورني بالسنة مرة) التي غنتها فيروز وكذلك اغنية (شمس الشموسة) التي يقول عنها المؤرخ حامد البازي انها اغنية بصرية لحنها الملا عثمان في البصرة وغنتها المغنية البصرية (طيرة) على يخت الشيخ خزعل امير المحمرة الذي كان راسيا في شط العرب بالعشار بحضور الشيخ خزعل نفسه .

وحامد البازي هو مؤرخ البصرة واحد ادباءها وقال في جريدة القادسية الصادرة في ١٩٨٨/٧/٧ ان الشيخ عثمان زار البصرة مرتين بعد الانقلاب العثماني ولقي فيها الكثير من الحفاوة والتكريم واتصل بعلماء البصرة ووجهاءها والفنانين فيها وقد اكرم طالب باشا النقيب الذي كان مرشحا لعرش العراق قبل الملك فيصل الاول الملا عثمان واقام له الحفلات والدعوات.

وينقل المؤرخ البازي ان الشيخ عثمان غنى على مسرح (اولكه) اغنية من نغم الرست . كما يقول انه كان يجهل ان الملا عثمان يعلب الشطرنج رغم فقدانه الرؤيا حتى سمع ان السيد طالب باشا النقيب اصطحبه الى دار ابن زينب ليلعب الشطرنج هناك.

وبالاضافة الى هذه المواهب في القراءات القرانية والتصوف وقراءة الموشحات والموسيقى والغناء ونظم الشعر والسياسة والصحافة والتاليف ونظم التاريخ الشعري والسياحة عند هذا العبقري فقد كانت له موهبة اخرى وهي معرفة الاشخاص بمجرد تحسس ايديهم او سماع كلمة منهم رغم عاهة العمى عنده.

ونظرا لتالق الشيخ عثمان بعد نشر كتابي عنه قررت مديرية الاذاعة والتلفزيون تقديم مسلسل اذاعي عنه ليذاع خلال شهر رمضان الذي كان سيحل بعد ايام ، فتم العمل واختير المرحوم الفنان القدير كنعان وصفي ليقوم بدور عثمان واذيع المسلسل من ثلاثين حلقة من دار الاذاعة العراقية وكان مسلسلا ناجحا.

وانجزت تاليف الكتاب الثاني عن هذا النابغة بناءا على تكليف وزارة الثقافة والاعلام لي فقد طلبت مني الوزارة ان يكون الكتاب بشكل قصة متتابعة الاحداث ليعرض في حلقات بمسلسل تلفزيوني هذه المرة. وانتهيت من تاليف الكتاب الثاني هذا بعنوان (عثمان الموصلي قصة حياته وعبقريته) وكنت قد ادخلت فيه بعض الاضافات التي اطلعت عليها.

وقدمت الكتاب بعد صدوره الى المسؤولين في مديرية التلفزيون فجرى العمل على وضع السيناريو من قبل الكاتب القصصي الاديب عبد الاله حسن وتم اختيار الممثلين وكنت انا المشرف التاريخي على المسلسل . وقام الصديق الموسيقار الفنان سالم حسين استاذ القانون في معهد الفنون الجميلة باعداد الموسيقى والاغاني وقد اخرج هذا المسلسل الجميل المخرج الراحل جاسم شعن .

وعرض المسلسل في تلفزيون بغداد في ثلاثة عشر حلقة وكان مسلسلا ناجحا حيث انهالت الطلبات من الفضائيات التلفزيونية العربية لنشر المسلسل غير ان دخول الجيش العراقي الى الكويت حال دون ذلك. فضاع هذا المسلسل الرائع مع ما ضاع وسرق واحترق.

وحبذا لو قامت قناة (سما الموصل) بوضع مسلسل جديد عن عثمان الموصلي ويعرض من القناة الفضائية.

وجاء دور الكتاب الثالث الذي اصدرته عن هذا النابغة فقد الفت هذا الكتاب الذي بعنوان (مع عثمان الموصلي وقيثارة النغم) وقامت وزارة الاعلام بطبعه ونشره بمناسبة مرور خمسين سنة على وفاته. وبهذه المناسبة اقامت الوزارة المهرجان الذهبي له في قاعة الخلد ببغداد بتاريخ ١٩٧٣/٢/١ وهو مهرجان فخم حضره جمع كبير من اعلام الفن والموسيقى والادب وشخصيات من خارج العراق .... وغنى في حفلة الافتتاح مطرب العراق الكبير المرحوم محمد القبانجي من شعر من نظمه وتلحينه ، جاء فيه :

عثمان يا خالق الانغام ليلتنا
طابت بذكرك من عذب التلاحين
اني احييك من روحي ومن نغمي
تحية من فؤادي بعد خمسين

وفي الموصل اقمنا في اواخر الستينات من القرن الماضي احتفالا في منطقة الغابات في ذكرى عثمان الموصلي وكان بتوجيه مني شاركت في فرقة الملا عثمان وقدمت بعض الموشحات والاغاني من نظم الشيخ عثمان وتلحينه.

وندوة اخرى اقامتها كلية الاداب في جامعة الموصل يوم الثلاثاء المصادف ٢٠٠٨/٤/٨ جرى فيها تكريم هذا العبقري بالقصائد والخطابات والابحاث وتوزيع الشهادات التقديرية للمشاركين في الاحتفال.

وقد نظم الشاعر المعروف الشيخ علي حامد الرواي قصيدة من اكثر من عشرين بيتا قال انها مهداة الى مؤلف سيرة عثمان الموصلي وهو كاتب هذا البحث جاء فيها :

انت يا عثمان زدها نغمة
واملأ الاسماع من حسن الاداء
(عادل البكري) اوفى سيرة
بكتاب فيه ذكرى ووفاء

والكتاب الثالث الذي اصدرته عن عثمان الموصلي وذكرته قبل قليل كان قد ضم مجموعة من الاغاني والموشحات والنوادر والطرائف عن هذا الضرير الجبار (كما كان يدعى) مع نبذة عن سيرته وتاريخ حياته.

ومن هذه الاغنيات والموشحات ما اخبرني به المرحوم علي الدبو احد رواد الفرقة الموسيقية في دار الاذاعة العراقية فقال ان موشح (غدا يشفع لي التهامي) اصبح اغنية من مقام السيكاه هي (ليش حارمني منامي).

وموشح (صاحب اسال من ذوي العرفان) صار اغنية شائعة في سوريا هي (أه مشعل) من نغم الحجاز.

وموشح (احمد اتانا بحسنه سبانا) في مدح الرسول اصبح لحنا لاغنية (اسمر ابو شامة) من نغم البيات .

وكذلك موشح (صلاة الله ذو الكرم) اصبح لحنا لاغنية (قدك المياس ياعمري) الشائعة في سورية.

وموشح (يا صفوة الرحمن سكن فيكم غرامي) انقل الى اغنية (ربيتك صغيرون حسن) من نغم البيات هذا اضافة الى اغاني اخرى شائعة مثل اغنية (فوك النخل فوك) وغيرها من الاغاني التي تنسب اليه.

وقد سئل المرحوم ناظم الغزالي عن لحن (يا ام العيون السود) ممن اخذه؟ قال انه اخذه من لحن قديم من الحان عثمان الموصلي.وهكذا كانت الحانه تذاع واشعاره تنشر وطرقه الصوفية تقام لها التكايا ، وكان تلاميذه في القراءات يتلون الكتاب العزيز على طريقته وكانت اخباره وطرائفه يتناقلها الادباء ، ومؤلفاته متوفرة في المكتبات .

هذا هو عثمان الموصلي العبقري الضرير الجبار الذي انجبته الموصل.

عن كتاب عثمان الموصلي الموسيقار الشاعر المتصوف 1966

الملا عثمان الموصلي مرة اخرى

كانت المرة الاولى التي التقيت فيها بالنابغة العبقري عثمان الموصلي عام ١٩٦٤ عندما كنت ادرس القراءات السبع على شيخ القراء في الموصل المرحوم محمد صالح الجوادي. ولم يكن ذلك لقاءا بالمعنى المعروف لانني قد ولدت بعد وفاته بسبع سنين ، ولكن الشيخ الجوادي اخبرني مرة انه اخذ اجازة القراءات العشر عن المرحوم الملا عثمان الموصلي وحكى لي بعض اخباره وقصصه فتجمعت لدي معلومات عنه وكان ذلك هو اللقاء الذي عنيته.

ومضت الاعوام وانهيت دراسة الطب عام ١٩٥٦ وفتحت عيادة لي ، وكان يوم من ايام عام ١٩٥٩ لم اجد الا درجال الامن ياخذوني من عيادتي مغفورا لاعتقالي في سجن (ابو غريب) وهناك التقيت مع المرحوم عبد الجواد الجوادي الذي اعتقله الشيوعيون ايضا للسبب نفسه وهو دفاعنا عن عروبتنا ودينا . وكان من جملة ما نتحدث به اخبار الموصل فذكر لي اسم عثمان الموصلي الضرير الذي ملأ الدنيا باخباره. وعندئذ استعدت المعلومات التي اخبرني بها شيخي محمد صالح الجوادي من قبل ، فقررت ان اكتب عن هذا الرجل ، ومضيت ابحث في الصحف والمجلات الصادرة في عهده واتصل بالمعمرين من الادباء وذوي الخبرة .

وانتهيت بعد سنين من البحث الى تاليف كتابي الاول الذي يعنوان (عثمان الموصلي الموسيقار الشاعر المتصوف) والذي صدر عام ١٩٦٦ من القرن الماضي واتبعته بكتابين اخرين عنه في فترات متباعدة.

كان لصدور هذا الكتاب الذي صدر بمساعدة المجمع العلمي العراقي صدى واسع في اوساط المثقفين واعلام الموسيقى والفن ولقي قبولا حسنا في البلاد العربية. وقال احد المعنيين بالامر انني اخرجت هذا العبقري من قبره ونفضت الغبار عنه ، فلم يكن احد انذاك يعلم تفاصيل حياة عثمان الموصلي وكان القليل من سمع باسمه .

وادى ظهور الكتاب الى انطلاق عدد كبير من المؤلفين والكتاب للكتابة عنه وكان مصدرهم الوحيد على الاطلاق هو هذا الكتاب الاول.

وظهر اسم عثمان الموصلي في كل مكان وسميت محلات كثيرة باسمه ومنها قاعة في معهد الفنون الجميلة ببغداد وشارع في الموصل وحي باكمله (حي عثمان الموصلي). واقيم له تمثال في هذه المدينة سعيت انا مع المحافظة لاقامته وكنت المشرف على تصميمه وهو قائم يتحدى الزمن ، وقد وضعوا اسم كتابي على قاعدته (عثمان الموصلي الموسيقار الشاعر المتصوف).

وظهرت عشرات المقالات والابحاث في الصحف والمجلات عن عثمان الموصلي وكلها تاخذ من مصدر واحد هو كتابي المذكور وتشير الى المصدر ماعدا بعض الذين يخالفون العرف الادبي ولا يشيرون الى المصدر ويدعون انهم معلوماتهم الخاصة عنه فينشرونها باسمهم.

لقد تضمن كتابي معلومات مستفيضة عن نشاة عثمان الموصلي منذ ولادته وعندما اصيب بالعمى وعطف محمود افندي

عراقيون
من زمن التوهج
العدد (2410)
السنة التاسعة
الخميس (1)
اذار 2012

هل سيد درويش اقتبس من عثمان الموصلي؟؟

مسرحية تؤكد أن الأغنية نسبت إلى سيد درويش جورا

علي مندلاوي

ينتشر الجدري في المدينة، فيغطي الطفح الاحمر وجه الطفل عثمان الذي ينجو من المرض، لكنه يدفع نظره ثمنا لحياة سترفعه لاحقا الى قمم لم يبلغها غيره في عصره! انه الملا عثمان الموصلي (١٨٥٤) الذي احتفى به العراق من خلال مهرجان استمر ثلاثة ايام، أقيم بالتعاون بين وزارتي الثقافة في الحكومة الفيدرالية العراقية وحكومة إقليم كردستان.
وكان مهرجانا مماثلا نظم خلال العام الماضي للاحتفاء برائد المقام العراقي «القبانجي» في مدينة السليمانية الكردستانية.
تضمن المهرجان، برنامجا مزدحما بالندوات التي القت الضوء على حياة الفنان وتراثه، وجلسات دراسية تطبيقية لطريقته في العلاج بالموسيقى الصوفية، خاصة انه المؤسس للمدرسة المولوية للانشاد الديني، بالاضافة الى حفلات غنائية وموسيقية لفرق غنائية وبيوت مقام، وقراء ذكر، ومطربين من بغداد والموصل ومدن كردستان.
وكان اللافت في برنامج الافتتاح الذي ضم معرضا للصور الفوتوغرافية والآلات المسرحية تتبعت الخطى العنيدة للفتى الضرير وسعيه للعلم والمعرفة، فتراه يترك الموصل لينحدر جنوبا صوب بغداد، ويتتلمذ على يد شيخ قراء المقام في ذلك الوقت «شيلتاغ»، وينتقل بعدها الى دراسة فنون الايقاعات والاوزان والعزف على الآلات الموسيقية، ويعود ملا عثمان الى الموصل، ليستمر في نشاطه الدؤوب في تلقي العلوم والاداب.
كانت شهرة الموصلي قد اتسعت في ذلك الوقت، لذلك يرسله والي المدينة موفدا منه الى السلطان عبد الحميد الذي يستقبله بحفاوة بالغة، ويجعله من خواصه، ثم يبعثه سفيرا يدعو لاستمرار حكمه في بلاد العرب.
تسبق شهرة الملا عثمان وصوله الى القاهرة، فيسعى للتتلمذ على يديه عبده الحامولي وسيد درويش.
وهنا سلطت المسرحية الضوء على خبايا على درجة كبيرة من الاهمية، وكان هذا مبعث دهشة الجمهور وحبوره، فهو الذي لحن اغنية «زوروني كل سنة مرة» التي تنسب منذ وقت طويل لسيد درويش، بينما هي في الاصل للموصلي، وكانت تغنى للرسول الكريم بعبارة «زوروا قبر الحبيب مرة» والحان شهيرة اخرى مثل: «طلعت يا محلى نورها» و«آه يا حلو يا مسلميني»
بالاضافة الى موشحات رددها مؤدون آخرون خلال العقود الاخيرة مثل موشح «هب الصب» و«الغصن الريان» و«الليالي عطرت احلامنا».

أما الحان الملا عثمان التي أداها العراقيون بلهجتهم والتي نسبت الى الفولكلور الشعبي فهي كثيرة ايضا، ومن اشهرها تلك التي أداها ناظم الغزالي «يم العيون السود».
اصدر الموصلي خلال اقامته في القاهرة مجلة باسم «المعارف» وعندما حل في الشام لقب بالشيخ الجليل عثمان، وكان مثار اعجاب الصفوة من الادباء والفقهاء والفنانين. اتقن الفارسية والتركية الى جانب العربية، وكتب الشعر وكان اديبا مفوها الى جانب مهاراته في الموسيقى والتلحين.
×××

عن جريدة الشرق الأوسط

حقائق حول زوروني بالسنة مرة

احمد الموصلي

١- اغنيتا زوروني و طلعت يا محلى نورها ليستا جزا من مسرحية و لم يكن الموصلي رجل مسرح .
٢- زار الموصلي مصر بضعة مرات قبل استقراره فترة في الاسكندرية و تاسيسة لاول صحيفة فنية في الوطن العربي و لقائة مع الحامولي و سيد درويش في اماكن و ازمان مختلفة و لا اعتقد انه قابلهم مرة واحدة .
٣- العراق لا يحتاج لسرقة تراث احد فللعراق اغزر تاريخ موسيقي طبعا قبل ان تكون لمصر نهضتها الموسيقية التي بداها سيد درويش و تاريخ الموسيقي للعراق يمتد من اول حضارة عرفتها البشرية حضارة سومر و يوجد نوتات موسيقية مدونة تابعة للحضارة الحورية في العراق و غنتها فرق ايطالية .
٤- لا احد يقول ان سيد درويش كان موسيقيا عاديا بل كان مبدعا و له انجازات عدة و معروفة .
٥- اقتبس هذا النص ((سيد درويش عرفه الناس موهوبا و كان يغني للعمال عندما كان يعمل (نقاشا) و عمل في احدى الفرق الموسيقية التي تزور حلب . وكان عمره ربما ١٧ عام .. هناك تعرف على موسيقار كبير له ابداعات موسيقية و كان محدثا وغزير الابداع اسمه (الملا عثمان الموصلي ١٨٥٤ - ١٩٢٠)اي الشيخ عثمان و كان مشهورا في تركيا و حلب ثم الاسكندرية بعد ذلك (على الاقل حينها) و اغانيه مازالت تغنى في تركيا و حلب و العراق و (مصر) و كان اول من استخدم مقام تركي و هو حجاز كار كرد .. و على فكرة هو كان ضريرا اي فاقد البصر نتيجة الجدري في صغرة .. و كان شاعرا ايضا .. تتلمذ سيد درويش على يد الملا عثمان الموصلي و كان لعثمان تلاميذ كثر .. تعلم سيد درويش الكثير على يد معلمه الملا عثمان وعلمه القوالب الموسيقية و الموشحات ... الخ .
لا يعرف الكثيرين هذه الحقيقة ..
و عندما استقر الملا في الاسكندرية اصدر اول صحيفة عربية فنية في الصحافة و تكلم بشكل كثير عن المقام العراقي و اهتم بها للتوعية الموسيقية و تستطيعون التاكد ..
الشيء الغريب ان سيد درويش و انا لا اريد التقليل منه ' اخذ الحانا كاملة و نسبها الى نفسه من استاذه وسوف تتفاجئون من ذلك (زوروني) و ف الاصل كانت (زورو قبر النبي ....) وقد سجلها عثمان ومن ثم الشيخ احمد الموصلي احد تلاميذه في العشرينات بالكلمات الاصلية .

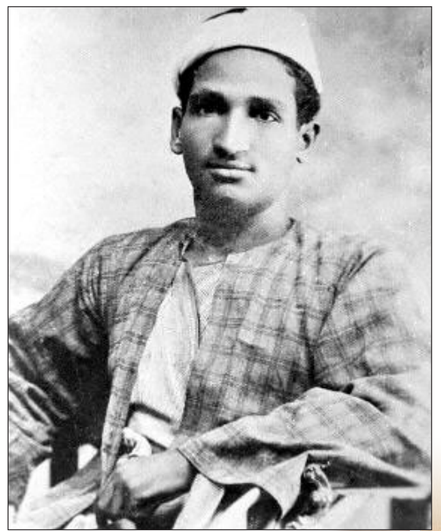

سيد درويش

و اغنية ثانية هي (طلعت يامحلى نورها) للملا و استعار سيد درويش اللحن باكمله .
و يذكر عبد الوهاب ان سيد درويس طلب تركيب كلمات لاغنية زروني في احد اللقائات التلفزيونية.))
٦- و هذا النص ((و أول حفلة أقامها الشيخ سيد في القاهرة كانت في مقهى الكونكورديا وحضر هذه الحفلة أكثر فناني القاهرة منهم الممثلون والمطربون وكان على رأسهم الياس نشاطي وإبراهيم سهالون الكمانجي وجميل عويس حتى وصل عدد الفنانين المستمعين أكثر من عدد الجمهور المستمع وفي هذه الحفلة قدم سيد دوره الخالد الذي أعده خصيصا لهذه الحفلة الحبيب للهجر مايل من مقام السازكار وفيه خرج عن الطريقة القديمة المألوفة في تلحين الأدوار من ناحية الأهات التي ترددها الجوقة وكانت غريبة على السمع المألوف ولذا انسحب أكثر الحاضرين لأنهم اعتقدوا أن هذه الموسيقى كافرة وأجنبية وان خطر الفن الجديد أخذ يهدد الفن العربي الأصيل وبالطبع إن فئة الفنانين المستمعين لم ينسحبوا لأنهم أدركوا عظمة الفن الجديد الذي أعده الشيخ سيد لمستقبل الغناء العربي اشترك الشيخ سيد مع الفرق التمثيلية ممثلا ومغنيا فعمل مع فرقة سليم عطا الله وسافر معها إلى سوريا ولبنان وفلسطين وكان لهذه الرحلة أثر كبير في اكتسابه أصول الموسيقى العربية إذ تتلمذ في حلب على الشيخ عثمان الموصلي العراقي ويقول الشيخ محمود مرسي إن الشيخ سيد عاد بعد هذه الرحلة أستاذا كبيرا في ميدان الموسيقى العربية
وسافر مرة ثانية مع فرقة جورج أبيض إلى البلاد السورية فأعاد الصلات الفنية بينه وبين موسيقييها واكتسب من أساتذتها ما افتقر إليه من ألوان المعرفة ولما عاد إلى القاهرة في هذه المرة رسم لنفسه خطة جديدة في ميدانه الغنائي والمسرحي فلحن معظم أدواره وموشحاته الخالدة التي عرفت الناس بمدرسته الإبداعية الجديدة
ظهر للشيخ سيد أول دور بعد هذه الرحلة وكان مقام العجم يا فؤادي ليه بتعشق وكان مقتبسا من موشح حلبي قديم مقام العجم أيضا أخذه الشيخ سيد عن الشيخ عثمان الموصلي ولكنه لم يستطع في بادئ الأمر أن ينسبه إلى نفسه وإنما نسبه إلى إبراهيم القباني وأما اشتهر الشيخ سيد في تلحين الأدوار بين الناس عاد ونسبه إلى نفسه وينسب إلى الشيخ سيد عشرة أدوار واثنا عشر موشحا وأوبريت وطقاطيق وأهازيج وأناشيد حاسبة وغيرها .))
٧- الموصلي و سيد درويش التقيا سوية بعد ذهاب سيد درويش الى حلب و كان عمره اقل من ٢٠ سنة اي في بداية حياته .
٨- الموصلي كان متدينا انصرف في نهاية حياتة الى مقارعة الاحتلال البريطاني و الانشاد الديني و لم يكن مهتما بما يؤخذ من الحانه على الرغم من تحذير طلابه منهم الشيخ احمد الموصلي كما قاله في احد اللقائات .
٩- - أفضل من وثق أعماله وسجلها بالصوت بعد وفاته هم تلامذته ، الملا مهدي والملا عبد الفتاح المعروف والسيد أحمد الموصلي ،و الملا الحافض ابراهيم قاريء القران المعروف في لقائات تلفزيونية و وثائق سوف ابحث عنها على الرغم من انها قد حرق المخربون النسخ الاصلية في مبنى الاذاعة العراقية وهم من احدى الدول العربية الجارة للعراق .
- الشهود هم حافضي قران و رجال الدين وليس لهم مصلحة في ذلك و كان اخرهم الشيخ جلال الحنفي رحمه الله توفي قبل سنة و قد تعرفت علية .
- هنالك و ثيقة مهمة مخبا في العراق حاولت جاهدا الحصول عليها او على نسخة منها و لكن للضروف الامنين تم تخبئتها بعدما حرق المكان التي كانت فيها كلها مسالة وقت و ساعود عندما احصلها في المستقبل .
- الاسطوانات التي سجلها الملا عثمان شمعية و تعرفون ما هي و لكن الشيخ احمد استطاع تحويل بعضها .
من بعض اعمال الملا عثمان :
اغنية (علروزنا)التي تغنى في الشام و العراق
ياصفوة الرحمن سكن حبك فؤادي .... موشح
يا من لعبت به شمول .... موشح
يم العيون السود ..... غناها ناظم الغزالي بعد ذلك و غناها حضيري ابو عزير المطرب الريفي الكبير بكلمات اخرى وهي يا طبيبي صواب .
يا حبيبي لا تلمني ... و في مصر تغنى ياينات اسكندرية و في تركيا تغنى بكلمات اخرى .
النوم محرم فلا اجفان .. تغنى في مصر يازين العاشقين
الغصن اذا رأك مقبل سجدا ..... موشح فوك النخل .
اشكر ابتسامة غناها فاضل عواد في السبعينيات و من ثم الهام المدفعي .
و الكثير من الاغاني و الموشحات و القطع الموسيقية لا يسعني ذكرها .
من تلامذه : الشيخ سيد درويش
محمد كامل الخلعي و كان يسمي الملا بالاستاذ و الصورتان المرفقتان من كتابة
الشيخ زكريا احمد
في سوريا الشيخ ابو خليل القباني
في تركيا كاظم أوز
في العراق الشيخ احمد الموصلي
و الكثير من التلاميذ
و لا يعرف الكثير حتى في العراق ارث هذا الموسيقار الكبير ملا عثمان الموصلي على الرغم من ان اغانية تغنى في العراق منها اغنيتا زوروني و طلعت يا محلى نورها و طالعة من بيت ابوها .... الخ

تكية مولوية من العهد العثماني

الملا عثمان الموصلي والمنقبة النبوية

باسم عبد الحميد حمودي

ولد الملا عثمان عبد الله في الموصل سنة ١٨٥٤ ورعاه وهو صبي اعمى جار والده الحاج محمود سليمان العمري وهيأ له من يعلمه العلوم العربية والموسيقى، ثم رعاه ابرز رجال الموصل مثل الشيخ محمد الحاج حسن والشيخ محمد بن جرجس النورد والشاعر الاديب أحمد عزة باشا العمري الذي رعاه في بغداد.
عاش الموصلي حياة عريضة دخل خلالها قصر السلطان عبد الحميد قارئاً القرآن وصديقاً لابرز مشايخ الدولة العثمانية الشيخ (أبو الهدى) الصيادي والد السيد توفيق أبو الهدى رئيس وزراء الاردن زمن الملك عبد الله الأول.
جال الملا عثمان في الاستانة وحل في مصر حيث درس على يده الموسيقار كامل الخلعي والشيخ علي محمود استاذ زكريا أحمد والشيخ أحمد أبو خليل القباني و النابغة سيد درويش الذي ظل يواصل الدرس على يديه حتى مغادرته مصر سنة ١٩٠٩.
كان الملا عثمان واحداً من عباقرة الموسيقى والغناء الديني وله دوره الكبير في تطوير المقام العراقي وتدريسه وكان الملا عثمان أحد ابرز الكتاب في الفن الموسيقي فقد أصدر في القاهرة مجلة المعارف التي صدر عددها الاول في ١٩/ مايس ١٨٩٧ مقتدية بفن الغناء وقد ذكره اكثر من مرجع ودراسة.
وشهدت الحقبة التي عاش فيها الموصلي ازدهار الأناشيد الدينية وإنشاء الجوامع- رافق ذلك الحاجة الى خطباء الجوامع والمرتلين والمؤذنين والممجدين ان التميز والاهتمام الذي حظي به الموصلي يظهر لنا جملة من الألقاب التي لقب بها، اذ كان له الباع الطويل في مجالات عدة، كالأدب والشعر والصحافة والتصوف والإنشاد والتلحين والموسيقى، فلقب الموصلي بـ(معجزة من معجزات العلم ونادر زمانه، وعبقري الموصل، والعملاق الأعمى) اما ألقابه الدينية فهي كثيرة أيضاً اذ لقب بـ(الملا) لقراءته القرآن الكريم و(الحافظ) لحفظه النص القرآني و(عثمان دده) الذي يعني (العم) او احد الألقاب الدينية لدى الكاكئية.

ويعد الموصلي من اكثر الشخصيات أهمية منذ ما يقارب أربعة عشر قرناً- حسب استبانة اجريت عام (١٩٥٤م) في دمشق.ان زمن الملا عثمان الموصلي ينبهنا الى معرفة جملة من الأمور الجديرة بالاهتمام:
أولاً: ان الحقبة التي عاش فيها الملا عثمان تميزت بانتشار وشيوع التعليم الشفاهي لمجمل العلوم والفنون المعروفة ايامذاك.
ثانيا: طبيعة الاتصال الثر والمثمر بين الحضارات التي تتماثل فيما بينها وما انتج يمكن حصر بعضه في:
أ. الجانب اللغوي: اذ كان الدين الإسلامي عاملاً مهماً في استخدام الحرف العربي في ايران وباكستان وأفغانستان مضافاً اليه وجود كمٍّ هائل من المفردات ذات العربية تستخدم في هذه الملفات فضلاً عن نصوص القرآن الكريم والدعاء والتسبيح.
ب. الجانب الموسيقي: تشترك دول الحضارة العربية الإسلامية بالعديد من الصيغ الغنائية ابرزها (المقام الغنائي) والآلات الموسيقية والغناء الديني وله دوره الكبير في تطوير المقام العراقي وتدريسه وكان الملا عثمان أحد ابرز الكتاب في الفن الموسيقي فقد أصدر في القاهرة مجلة المعارف التي صدر عددها الاول في ١٩/ مايس ١٨٩٧ مقتدية بفن الغناء وقد ذكره اكثر من مرجع ودراسة.
وشهدت الحقبة التي عاش فيها الموصلي ازدهار الأناشيد الدينية وإنشاء الجوامع- رافق ذلك الحاجة الى خطباء الجوامع والمرتلين والمؤذنين والممجدين ان التميز والاهتمام الذي حظي به الموصلي يظهر لنا جملة من الألقاب التي لقب بها، اذ كان له الباع الطويل في مجالات عدة، كالأدب والشعر والصحافة والتصوف والإنشاد والتلحين والموسيقى، فلقب الموصلي بـ(معجزة من معجزات العلم ونادر زمانه، وعبقري الموصل، والعملاق الأعمى) اما ألقابه الدينية فهي كثيرة أيضاً اذ لقب بـ(الملا) لقراءته القرآن الكريم و(الحافظ) لحفظه النص القرآني و(عثمان دده) الذي يعني (العم) او احد الألقاب الدينية لدى الكاكئية.
ج. الغناء الديني وفرق التصوف: انتشرت الفرق الصوفية وطبيعة الانتشار الديني الحانه والاته بين العراق وسوريا وتركيا وإيران ومصر كما توحدت الاحتفالات بين هذه الأقطار كالاحتفال بالمولد النبوي او الاسراء والمعراج على سبيل المثال لا الحصر.
ان دراسة شخصية الملا عثمان الموصلي تعطينا المثال الواقعي الذي يمثل شيوع الإبداع والأخذ والعطاء الذي وسم المرحلة التي عاشها مضافاً اليها تنوع الحضارة العربية الإسلامية عبر تاريخها الطويل.
فالملا عثمان درس اللغة العربية على يد عمر الاربيلي والشيخ بهاء الحق الهندي واخذ الإجازات السبع من الموصل، والقراءات العشر من مصر واسطنبول وكان خطيباً ومرتلاً للقرآن في جوامع عواصم بلاد الحضارة العربية الإسلامية في بغداد والموصل والجامع الأموي في دمشق وجامع الأزهر في مصر ومن المناسبات الدينية هي: المنقبة النبوية: هي احتفال ديني يقام في المناسبات الدينية مثل ليلة القدر وليلة الإسراء والمعراج والمولد النبوي وهي (دعاء واسع للمقامات والأنغام تضم عشرات الأشغال من تواشيح وتنزيلات تبلغ قمة في الإجادة النظمية) وهنا تمتاز بدورة (الملوي) الذي يدور حول نفسه لفترة طويلة من الوقت دون توقف ويقدم المنقبة النبوية مجموعة من الرجال (الشيخ والشغالة) ويقدمون المقام العراقي وتستخدم فيها أنواع من الشعر الفصيح والعامي
ولا يمكن لنا في هذا التقديم لجهد باحثين كريمين اشتهرا ببحوثهما الفولكلورية والتراثية ان نشير الى كل تجارب الملا عثمان وريادته في فنون الموسيقى والغناء وهما الاستاذان محمود العبطة ود. عادل البكري برغم ان مئات الدراسات الاخرى قد كتبت او صدرت عن الملا عثمان.

الموصلي
ودوره في تطور الموسيقى الدينية في العراق

محمود العبطة

لابد لدراسة اثر الملا عثمان واثره الظاهر في المولد النبوي وفي نظم التنزيلات وتلحينها من الاشارة الى شاعرين اشتهرا في هذا الشان وقد سبقاه في ارساء قواعد المولد وفي نظم الموشحات وتلحينها، وهما الشيخ سعدي بن محمد امين الموصلي، والملا زيني الشيخلي البغدادي، واولهما كصاحبنا الحافظ.

ولد في الموصل ومات في بغداد ودفن في جامع الفضل، واشار الشيخ الحنفي انه قد غذى موضوع الموالد النبوية تغذية واسعة فكثير من الاشغال المولودية هي من منظوماته، وقد عاش الاول في عهد الوالي داود، وعاصر الثاني عثمان الموصلي او سبقه قليلا وكان من كبار قراء قصة المولد النبوي في بغداد.

هذا، ولم يفت القارئ الى ان كافة مصطلحات فرق المولود النبوي، هي عامية التركيب من الشغالة الى الرواديد الى الحداية.. وان قوام هذه الفرق، وهي التنزيلات هي لفظة عامية بغدادية ايضا، وقد عرفها الاستاذ الحنفي في الجزء الثالث (المخطوط) من كتابه "معجم اللغة العامية البغدادية" بما يلي: (التنزيلات النبوية ما يتلوه فريق من قراء المولد من ذكر اوصاف الرسول بالالحان).

ونعود الى تنزيلات الملا عثمان الموصلي التي لا تزال متداولة بين قراء وشغالة المولد حتى الان ولكنها لم تجمع حتى كتابة الرسالة، وقد سمع المؤلف ممن اتصل بهم ان احد تلاميذ الملا عثمان وهو السيد محمود الهاشمي جمع عددا من التنزيلات في دفتر خاص، كما ان احد شغالته وهو حسين النمنم ابن علي من مواليد (١٢٩٨ هـ) قد جمع هذه الاشغال في دفتر، لكنها لم تطبع ولم تحفظ في مكتبة عامة، كما ان الحنفي اشار الى ان عشرات التنزيلات تنسب لعثمان، لكنه لم يذكر الا شطرين في مداعبة احد شغالته، ونسجل للتاريخ مشروع الاستاذ الحاج هاشم الرجب الذي نفذ جزء منه في تسجيل التنزيلات النبوية ومن اهمها تنزيلات الموصلي، وذلك عندما كان رئيسا لقسم المقام العراقي في دار الاذاعة في عام ١٩٦٦ وقد تم له تسجيل تنزيلات استغرقت مدتها ست ساعات، لكنها لم تتم بحجج واهية مع اشد الاسف.

وهنا ندرج للقارئ مطالع او نتفا او تنزيلة كاملة من تنزيلات ملا عثمان سجلها المؤلف من تلميذ الملا ومن شغالته الحافظ عبد الفتاح معروف ، ونقل بعضها من كتاب (عثمان الموصلي) تأليف الدكتور الاستاذ عادل البكري الموصلي، والاخرى من مجموعة مخطوطة:

صلي يا ربي على خير الانام
وعلى الآل والصحب الكرام
اهل الغرام، دار السلام، لهم مقام ، ثم سلم كلما ناح الحمام
فوق اشجار عليهم.. يا سلام
×××
ناح الحمام القمري
فوق الغصون
هيج قلب العاشق
زاد الشجون
×××
صلى الله على المدني
محمد رفيع الشان
ما غنى على الفتن
قمري على الاغصان
كم لك تواصلني
كم تنوي على الهجران
×××
يا الهي بالتهامي
ارتجي الامان
ان لم ترحم .. زل القدم.. يا ربي لا تخزني
يرتجي (عثمان) عفوا من لظى النيران
والخجلان
اذا قدمنا والاملاك عادت تؤوي لدار السلام
يا علام.. ان لم ترحم زل القدم
×××
يا راحلين اليه بالامان
على النبي صلوا
من كان يهوى جمالالمبتسم
مأواه جنات عدن والامن
والله لا صير مداح لهم واغني
واقول احبابي غيبوا عني
×××
نلت المقام الاشرف
لما علوت الرفوف
ناداك من لا يوصف
اهلا فنره عينك
يا راكب البراق
يا خارق الطباق
(عثمان) غدا مغرم
بآل المصطفى العربي
في مدحهم استغنى عن الكتب
يا من قسم الدنيا مع الرتب
×××
املأ واسقنا
صرفا بلا مزج
واخلع العذار
على ابنة الرهج
مخمور العيون
والعيون الدعج
يبتغي الوصال
منك ويسترجي
×××
آه يا سيدي انت مقصدي
ارجوك تساعدني
تأخذ بيدي
مالي غيرك
ارجو قربكم
انتم لنا ذخرا
بيوم الموعد
يا اهل الحمى
واصلوا الظمى
شربة من لمى
سيدي بيوم الموعد
×××
قال العلا والفضلا والنجاح
من كان في اشواقه قنبلا
×××
للعشاق في الهوى دلائل
لايسمح من كلام عاذل
يا من رحلوا وخلفوني
ابكي اسفا على المنازل
×××
هيمتموني يا آل ليلى
لا تحرموني ان رمت نيلا
بلغ سلامي لسيد الاكوان
واشك لهم يا صاح حالي
×××
المح برقا لاح من ارضكم
ام ثغر ليلى بان لي مبتسم
يا آل طه قد غدا عبدكم
مضنى عن الاشواق لا ينثني
يا عاذلي من حبهم خلني
جمره قلبي جففت عبرتي
حتى استحالت عن دم مقلتي
يا آل ليلى همت من لوعتي
منكم وقد ذبت وجسمي فني
×××
لم يزل دمع عيوني
هاطلا طول الزمن
آل طه اوصلوني
دمت في فرط الحزن
بان في الوجد سقامي
ذات جسمي في الهوى
فيكم هاج غرامي
نجم صبري قد هوى
يا بني الهادي التهامي
عنكم طال النوى
فارحموا القلب وداووا
القلب من نار الشجن
ايها العاذل مهلا
لست اصغي للملام
انا دابي حب ليلى
منذ ناهزت العظام
فلكم امضيت ليلا
لم يذق جفني المنام
قيدتني في هواها
مد رمتني في المحن
ايها القلب تأمل
بادعاء ومقال
بسوى آل المفضل
لم تنل حلو الوصال
بهم لذ، وتسربل،
راجيا فيض النوال
عبدكم (عثمان) يحضى
بالاماني والمنن

والمجموعة المخطوطة نقلها السيد كامل النجم من مجموعة تنزيلات قام بجمعها المرحوم جميل بن سيد احمد احد شغالة الملا عثمان في عام ١٩٤٧ ، وهي مجموعة فريدة توفق المؤلف بالاطلاع عليها بفضل جهود صديقه السيد عزت المصرف، ننقل منها ما يلي:

يا غزالا بالفلا ما اجملك
هل ترى في قتلتي من حلك
كنت لا تصبر عني ساعة
علموك الهجر حتى لذ لك
يا غزالا كيف عني ابعدوك
شتتوا شملي وهجري عودوك
قلت داع السود يا ريم الفلا
ان تسل عن مدمعي فهو سفوك
ربنا لا تخز (عثمان) اذا
نزل القبر ووافاه الملك
×××
مرضت سلوتي مذهب الصبا
ولعت مهجتي في وادي قبا
منكم لوعتي يا اهل الصبا
يا بنو المختار قلبي في هواكم هام
واصلوا (عثمان) من قد بات في الالم
×××
في طاعة الغفار باري الحياته
آه باري الحياته
من عترة المختار اكرع فراته
آه اكرع فراته
لا تتركوا (عثمان) بما يقاسي

ننتقل بالقارئ من هذا الجو الشاعري الجميل، الذي تجلت فيه شاعرية هذا الفنان الفذ، حيث كان يغذي عواطف الجماهير البغدادية بهذا اللون المحبب، نعود الى مورد آخر يتصل اتصالا مباشرا في بحثنا، وهو رسم صورة تقريبية لاثر حفلات قراءة المولد النبوي من قبل ملا عثمان الموصلي؛ تراجع المصادر المعاصرة له، فنقرأ تسجيلا للعلامة احمد عزت العمري (توفي في ١٨٩١) في كتابه العقود الجوهرية.. يشير الى انه..

اشتهر بحسن قراءة المولد الكريم.. فاومض فيها برق اسمه، وعلا كعبه ورسمه، وذلك قبل رحلاته الى خارج العراق، ونستطلع رأي المعاصرين له عمن سبقهم، فنسمع من الاستاذ مهدي مقلد انه سمع من شيخه السيد خضر القاضي والد الاستاذ السيد احمد منير القاضي، ان علماء بغداد وارباب قراءة المولد النبوي ارادوا اختباره في هذا السبيل فاقاموا حفلة خاصة تبلو فيها الملا قراءة المولد في جامع (علي افندي) بعد صلاة الجمعة واستمرت حتى صلاة العصر وحتى الليل.. وقد ادهش الجميع بحسن التلاوة وروعة القراءة وجمال توزيع الاصوات واداء التنزيلات حتى عقدت له الزعامة من قبل الجميع، واخذ نجمع يصعد.. ولم ينافسه مناقس على كثرة القراءة ووفرة المجيدين منهم في عصره، عصر ازدهار المقام العراقي بشتى فنونه. وكانت رحلاته متنفسا لهم، ولكن الى حين.

اذ انه عاد الى بغداد في ١٩١٤ ، والقى عصا اليسار واستقربه النوى، وعادت المواليد تقام بروعتها وجمالها وزاد اشتغال الحرب الكونية الاولى من ضرورتها للهزة الاجتماعية والنفسية التي ولدتها وحشد الشباب وكل طاقات اهالي بغداد الى ملاقات اهوال الحرب.

وقد ذكر الملا في احدى تنزيلاته ذلك:

عسكرنا سفر بر
هلل ثم كبر

فكانت حفلات المولد تقام ليلا ونهارا وفي كل مناسبة، وبالصورة الرائعة المعهودة (لمولود ملا عثمان) الذي سار مسير الامثال؛ وقد اعتاد منذ مجيئه الى وطنه الثاني على اقامة المولد في داره في باب الشيخ ليلة كل جمعة ذكر ذلك للمؤلف صديقه الاستاذ كامل خميس وايده اكثر ابناء المنطقة الاحياء!

هذا اللون النفيس من الفن البغدادي الاصيل الذي انتعش على يد الملا الموصلي، والي يعتبره الفولكلوريون من الفنون الجماعية الذي تتظافر فيه فنون عدة من الشعر والغناء والموسيقى (يستعمل آلة الدف فقط) ، الى حركات الرؤوس والايدي. رسخت قواعده على يد هذا الفنان الكبير وتمثلت روعته على يد تلميذه القارئ والمغني الفنان المرحوم الحافظ مهدي (١٨٩٨ – ١٩٥٩) وقد بلغ الذروة في اواسط الاربعينات عندما كان يقوم على ادارة الدعاوة بغدادي اصيل هو الاستاذ احمد زكي الخياط، قام الخياط بدور هام في هذا السبيل في سنة ١٩٤٥ اذ جعل لشغالة مولود الملا مهدي العزاوي زيا خاصا يقتصر على العمامة البغدادية وعلى الزبون والدميري بلون واحد، واعطى للقارئ الحافظ حريته بعمامته وجبته، حتى انه اعد سبحا خاصا لجميع الشغالة وبلون واحد ايضا. ولم تتطور خطوة الخياط، حتى غدا شغالة المولود مزقا مختلفة من السدارة الى الطربوش الى حليقي الرؤوس.. الخ.. بعد وفاة الملا مهدي وبعد ان ترك الحافظ عبد الفتاح معروف الميدان لغيره.

ونعود الى الملا عثمان ونقول ان المعاصرين له من قراء المولد كثيرون، واشهرهم الملا زيني الشيخلي، والملا صالح اليعقوبة لي والملا كور رشيد والملا احمد عبيد الحلي والملا عبد العزيز التكريتي وملا احمد دبيس الشيخلي على ما يقول الملا عبدالفتاح ، ولكل فرقة قارئ من هؤلاء فرقته وبطانته بالصورة التي رسمت في احدى الالواح السابقة، اضافة الى هذه الفرق، فهناك فرقتان هما فرقة ملا عبد الرزاق (توفى في ١٩٣١) والد الاستاذ محمد الفنبجي، وفرقة ملا محمد علي خيوكة ولد في ١٩٠٨ وهو والد المرحوم قارئ المقام حسن خويكة، وتضم كل فرقة عددا قليلا من الشغالة وبطريقة خاصة لعلها غير معقدة، وهذه الفرق كانت تمارس اقامة حفلات المولود في طول المدينة وعرضها وفي خارج بغداد ايضا، ولكن علو صيت الملا عثمان وابداعاته وتعدد الشغالة عنده وميل الجمهور اليه، طغت فرقته على سائر الفرق الاخرى كما يقر بذلك كل المعاصرين لتلك الفترة من تاريخ العراق الفني..

اما بطانة الملا عثمان وفرقته فكانت تتكون منه قارئا لقصة المولد، ومن الملا احمد شعبان (ولد في ١٣٠٠ هـ (خلفة) للملا عثمان، واما الشغالة والمنشدون فهم كل من الحافظ عبد الفتاح معروف ولد في ١٣٠٩ هـ والحافظ مهدي ورشيد السودة ونجم التيار (الشيخلي) ولد في ١٣١١ هـ وملا عبد الله الخير وملا عيسى القيسي والملا ابراهيم بن ابو ندر (توفى في الثلاثينيات) والملا حسين والملا احمد الزغير وعباس بن نشعة العدادة وامين الشيخلي، حسب رواية الحافظ عبد الفتاح للمؤلف، ويذكر الاستاذ الحنفي الملا مبارك من شغالة مولد المترجم له كما ان العلاف يذكر في كتابه (الطرب عند العرب) قارئا آخر هو محمود بن الطحانة، وهو اول رئيس فرقة له، وخلفه احمد شعبان المذكور.

ويذكر الملا عبد الفتاح ان الشقيقين سيد كامل واخيه سيد جميل ولدا احمد ، كانا يمارسان العمل في فرقة الملا عثمان بصورة متقطعة، ولم نذكر اسماء قراء المقام الذين يحضرون مولود الملا لكثرتهم في عهده ولانهم لم يكونوا جزء من الشغالة حينذاك، بل يقرؤن وفقا لمزاجهم بما يناسب المكان، اما اليوم فقارئ المقام جزء من الشغالة كما جاء في موضوع خاص.

وفي ختام هذه الدراسة ، التي حاولنا فيها اعطاء صورة عن حياة ومواهب ومواقف الفنان العراقي عثمان الموصلي ودوره الفعال في تنظيم وتغذية حفلات المولد النبوي في بغداد.. لابد لنا من التأكيد على جانب مهم ما يتصل في هذا الموضوع، ذلك ان الجماهير البغدادية بقواعدها الشعبية من الطرق الصوفية الى اصناف العمال الى قراء القرآن وما الى ذلك مما فصلناه في كتابنا رجل الشارع في بغداد، بما فيها الصحافة البغدادية المعارضة للسلطة العثمانية والاحزاب السياسية التي لعبت دورها الفعال في اشعال ثورة العراق في عام ١٩٢٠، ان هذه الجماهير قد جعلت من حفلات المولد واشباعه من الطقوس الدينية وسيلة لاجل الحفاظ على التراث الشعبي وعلى اللغة القومية وعلى العادات الحسنة دون التخريب والذوبان في الثقافة العثمانية الرسمية الغريبة عن البلد.

اضافة الى ذلك فانها – حفلات المولد – جانب مهم من الفولكلور البغدادي برز فيه الشعر العراقي الفصيح والعامي كلون خاص متميز بجانب الغناء البغدادي الاصيل والانغام الشجية التي ترافق ضربات الدف، حاولنا دراستها في هذه الرسالة التي نرجو ان تكون نقطة البداية لدراسة او دراسات موسعة تقوم بها اكثر من واحد ممن يهمه دراسة واحياء التراث الشعبي في بغداد وفي القطر العراقي.

عن كتاب/ عثمان الموصلي في (بغداد 1973)

الموسيقى والرقص المولوي

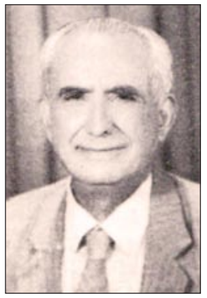

محمود العبطة

عراقيون
من زمن التوهج
العدد (2410)
السنة التاسعة
الخميس (1)
اذار 2012

الملا عثمان الموصلي... شوارد وطرائف مطوية

رفعة عبد الرزاق محمد

لم تزل سيرة الفنان والموسيقار العراقي الرائد الملا عثمان الموصلي ، تحتجن الكثير من الطرائف والحقائق التي لم يعرفها الكتاب اهتماما الا عرضا . ونقف في هذه النبذة على بعض طرائف حياته الغنية بكل فريد وغريب وجميل . وقبل هذا اود بيان ان الاخوين من كتابنا الافاضل اولى الموصلي اهتمامه ، ولعل الاستاذ محمد بهجة الاثري ، كان سباقا في هذا ، فقد كتب مقالا وافيا في مجلة (لغة العرب) في سنتها الرابعة عام ١٩٢٦ ، كما فصل عنه القول كتاب (اعلام الادب والفن) لادهم الجندي الصادر عام ١٩٥٤ . غير ان اهم ماصدر كان كتاب الدكتور عادل البكري عام ١٩٦٦ بعنوان (عثمان الموصلي ، الموسيقار الشاعر المتصوف) ، واعيد طبعه في السنوات التالية ، وقد اصبح مصدرا لاغنى عنه في هذا الامر .

* ذكاؤه

مما سمعناه من المرحوم محمود صبحي الدفتري انه بينما كان يسير بمدخل سراي بغداد المجاور للقشلة ، رأى من بعيد الملا عثمان الموصلي ومعه عبد الجبار خان زادة رئيسالكتاب في دائرة الاوقاف ، فاشار عليه الا يخبر الملا عثمان بمجيئه . وكان الدفتري قد سمع ان الموصلي يعرف الاشخاص من تلمس ايديهم ، وعندما مدّ الدفتري يده لمصافحة الملا عثمان ، اخذ يتلمسها محاولا معرفة صاحبها كعادته ، الا ان الدفتري بادره بقوله : ان هذه اليد لم يسبق ان تشرفت بمصافحتك ولكن لها حبا موروثا انتقل من السلف . وبقي ساكتا وبدأ يتحريك رأسه يمينا ويسارا كعادته ، وماهي الا لحظات حتى قال :

اوراق اخلاصي اذا ما كتبت
تنشر في الافاق حسن الاسطر
كلها محفوظة في مهجتي
ومهجتي عند فؤاد الدفتري

وكان يشير الى ان محمود صبحي هو ابن فؤاد الدفتري .

ويذكر الاستاذ محمد بهجة الاثري : واما ذكاؤه وفطنته فحدث عن البحر ولا حرج ، وكأني بمن لم يره يتردد في تصديق ما اذكره من غرائبه ونوادره : كان من شيوخه اذا سمع صوت انسان عرف اوصافه من حسن ودمامة وطول وقصر ، وعرف كم سنة . واذا لمس يد رجل فارقه مدة من الزمن عرفه في الحال ، واغرب من هذا وذاك انه كان يعرف الرجل من قرع نعليه . وكان يجيد الضرب ايما اجادة على العود والعزف بالات الطرب بانواعها واللعب بالدامة

الشطرنج وسائر الالعاب العجيبة . ومر يوما في طريق من طرق بغداد فسمع من احد البيوت صوت عود غير منتظم فعرف حالا ان وترا من اوتاره لم يحكم شده فوقف وطرق باب البيت وقال : يا ضارب العود احكم الوتر الفلاني وسماه باسمه . فقال الرجل : انا اردت ذلك بارك الله فيك .

وذكر المرحوم عبد اللطيف ثنيان ان الملا عثمان الموصلي دخل بيروت وكان فيها المرحوم صالح افندي السويدي فتقدم اليه وصافحه دون ان ينبس بكلمة فاخذ يده وبقي يتلمسها هنيهة وهو لا يعلم بوجوده في بيروت واذا به يقول : سويدي ما الذي جاء بك الى هنا ؟ ، وذكر لي المرحوم رؤوف افندي ابن حسن افندي الشربتجي الموصلي انه دخل جامعا في الاستانة فوجد الشيخ عثمان جالسا للوعظ . فجلست في ناحية قريبا منه ، فقطن ان الجالس ليس من المستمعين على العادة . قال فتطال علي وقال : بيك افندي بكم الساعة ؟ فاجتهدت بتغيير صوتي وقلت بالتركية : العاشرة والنصف . ثم ختم درسه بعد لحة واحدة واخذ في الدعاء قائلا : اللهم صل وسلم على رسولك الرؤوف الحسن ، وبعد تمامه قال : هل تحتاج بعدها الى التكتم عني ؟! . ومررت معه ليلة في سوق ، وبينما نحن نسير ونتحدث اذ ضربت بعصاي باب حانوت وقلت له : هذا حانوت صاحبك فلان . فقال : كلا بل حانوته الحانوت الاخر الذي بلصقه ... وفتح مع شريك حانوتا في الاستانة للوراقة ، فما جاءه احد يطلب كتابا بغياب شريكه الا ومد يده وسلمه اياه بصورة يعجز ذوو غالابصار عن مثلها .

وذكر الدكتور يوسف عز الدين ان المرحوم ناجي القشطيني حدثه انه رأى الموصلي مرة وكان صغيرا ، ثم قابله بعد سنوات طويلة ، فسلم عليه ، فقال : يا ناجي اصبحت رجلا . وكتب الاستاذ محمد صديق الجليلي ان الاستاذ فاضل النوري حدثه بانه كان يسير في شارع الجسر القديم ببغداد سنة ١٩٢١ ، فقابله الملا عثمان الموصلي خارجا من سوق السراي ، فاقترب منه وسلم عليه فاخذ يده بين يديه واخذ يدلكها ، ثم قال : اهلا حفيدي شيخي وسيدي النوري . وذكر حادثة اخرى عن مصطفى ابن الشاعر احمد عزة باشا الفاروقي بانه كان يصلح الساعات باللمس اذا كان العطب صغيرا فيها . وذكر الاستاذ احمد محمد المختار مؤلف كتاب (علماء الموصل) بانه دعي مرة لتلاوة جزء من القرآن الكريم في حفل اجازة العالمين الاخوين محمد رشيد وسعد الدين ولدي الشيخ صالح الخطيب ، وكان استاذهما طالبا لدى والدهما ، فاذا بالشيخ عثمان الموصلي يقرأ من سورة الكهف قوله تعالى : ((واما الجدار فكان لغلامين يتيمين في المدينة وكان تحته كنز لهما وكان ابوهما صالحا فأراد ربك ان يبلغا اشدهما ويستخرجا كنزهما)) ، فدهش الحاضرون ، فقد كان ابو العالمين صالحا ، وقد تعلما علم والدهما على طالبه وليس اجمل من العلم كنزا حفظه استاذهما عن ابيهما .

والواقع ان مكفوفي البصر ، على الاغلب ، عوضوا بقابليات ومواهب لاتجدها عند المبصرين ، وبعض هذه المواهب غريبة في بابها وعجيبة في حقيقتها ، ولعل القائل (الحقيقة اغرب من الخيال) ، كان صادقا في قوله اذا ما طبقنا المقولة على ما نقا الينا من مواقف ذكية لبعض فاقدي البصر من العراقيين المتاخرين . على ان اغرب هؤلاء كان خليل البصير الذي تحدث عنه الشهرباني في كتابه (تذكرة الشعراء) ، وقال انه يميز الدراهم المزيفة منالناس ومنذ صغره كان مغرما في تطيير الحمام وكان يصطاد الحمام الغريب الذي يدخل بين حماماته ! ولهذا الموهوب حديث ماتع في مقال مقبل .

ومما يُستطرد هنا ان المؤرخ والشاعر خليل بن ايبك الصفدي ، جمع الكثير من طرائف اصحاب البصيرة ونوادرهم ، في كتابه الشهير (نكت الهميان في نكت العميان) الذي حققه ونشره احمد زكي باشا سنة ١٩١١ . ويعلل الصفدي ظاهرة الذكاء النادر والحافظة القوية عند العميان بقوله : قل ان وجد اعمى بليدا ولا يرى اعمى الا وهو نكي والسبب الذي اراه في ذلك ان ذهن الاعمى وفكره يجتمع عليه ولا يعود الا متشبعا بما يراه ..ونحن نرى الانسان اذا اراد ان يتذكر شيئا نسيه اغمض عينيه وفكر ، فيقع على ما شهد من حافظته ... وتذكر ايضا ان /للدكتور احمد الشرباصي كتاب باسم (في عالم المكفوفين) .

* اصداراته

عكف الشيخ عثمان الموصلي على اصدار عدد من الاصدارات الخاصة به او لغيره . وككثير من الكتاب لم يولوا الامر اهتماما ، فكتبه الخاصة به هي مجموعاته الشعرية ، وهي (الابكار الحسان في مدح سيد الاكوان) طبع ببغداد عام ١٣٣٢(١٩١٤) و (سعادة الدارين) وهو مجموعة شعرية ونثرية طبعت في مصر عام ١٣١٦ ثم اعاد طبعها في اسطنبول بعد سنتين ، و (المراثي الموصلية) وهو يضم قصائده في رثاء عدد من الشخصيات المصرية ، وقد طبع في مصر عام ١٣١٦ . اما الكتب التي سعى الى نشرها ، وهي لغيره ،اعجابا بها ، فهي :

١.التوجع الاكيربحادثة الازهر
٢.الترياق الفاروقي وهو ديوان عبد الباقي العمري
٣.الطراز المذهب في الادب لابي الثناء الالوسي
٤.الاحوية العراقية عن الاسئلة الايرانية لابي الثناء الالوسي
٥.حل الرموز ركشف الكنوز للشيخ علي الدده

وذكرت بعض الكتب ان له كتبا اخرى غير المطبوع ، مثل كتاب (نباتي) ذكره ادهم الجندي في كتابه (اعلام الادب والفن) ، وذكر اسماعيل باشا لبغدادي في (ايضاح المكنون) ان للموصلي كتاب باسم (بديع النظام على سجع الحمام) .

* مجلته في مصر

في عام ١٨٩٦ ، واثناء وجوده في مصر في رحلته الثانية لها ومكث فيها نحو خمس سنوات ، اصدر مجلة ادبية باسم (المعارف) ، وهي جديرة بالبحث والتحقيق . وفيما يلي بعض مانشرته المجلات العربية عنه .

المعارف ، ورد علينا العدد اول من مجلة معنونة بهذا الاسم لصاحبها ومحررها الفاضل ملا عثمان افندي الموصلي وهب علمية سياسية تاريخية ادبية اخبارية فيما نعهد في حضرة محررها المشار اليه من غزارة الادب والبراعة في صناعة الانشاء وما يضمره لها التقدم بين الصحف العربية فنحث المتأدبين من ابناء هذه اللغة على الاشتراك فيها ونتمنى لها ماهي اهل له من الرواج والانتشار .

عن مجلة البيان العدد الرابع السنة الاولى الصادر في اول يونيو ١٨٩٧ . لصاحبها الشيخ ابراهيم اليازجي والدكتور بشارة زلزل الصفحة ١٨٦ .

المعارف ، تلقينا العدد الاول والثاني والثالث من هذه المجلة العلمية السياسية التاريخية الادبية الاخبارية لصاحبها ومحررها الكاتب الشاعر مثلا افندي عثمان الموصلي وهي فصيحة العبارة حسنة السبك وقيمة الاشتراك بها عن سنة كاملة ٤٠ قرشا في داخل القطر و٥٠ في خارجه فننشط منشئها الفاضل ونسأله لمجلته الثبات والعمر الطويل .

عن مجلة الهلال السنة الخامسة 1896 ص 838

الساعات الأخيرة من حياة الملا عثمان

خالد محسن اسماعيل
باحث عراقي راحل

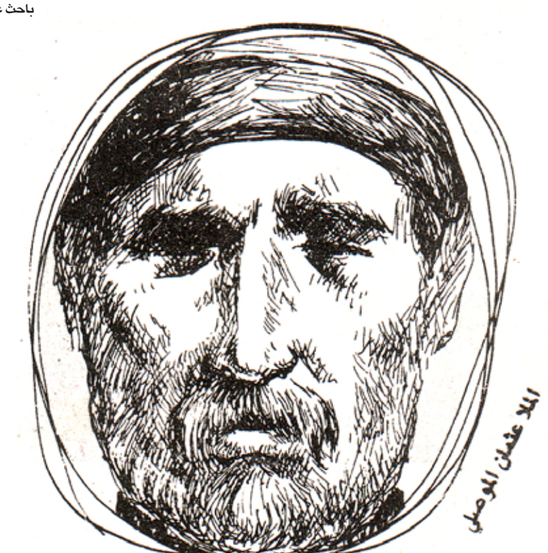

كان العصر عصره بلا منازع!

حرمه الجدري نعمة البصر فحباه الله سبحانه وتعالى نعمة البصيرة وعاش في فيض النور، وكثير من المبصرين حوله يتلمسون مسالكهم.. عبثاً، في وهج الشمس، واطلقه في سماء الدولة العثمانية نجما تتنازعه عرائس الالهام..

فكان القارئ المقرئ المتصوف الشاعر الثائر الموسيقار الصحفي السياسي شعلة الذكاء وبهجة المجالس ومهوى افئدة الناس. قريبهم وبعيدهم فالكل في هوى الملا عثمان أسير!

ترى كيف اجتمع كل (هؤلاء) في (واحد) فكان (طاقة) فواحة باعذب الفنون؟ أجل.. انها ارادة الله تعالى في خلقه، يهب لمن يشاء حياة او بعض حياة ويهب لمن يشاء الحياة كل الحياة فتبارك الله تعالى احسن الخالقين.

وفي الذكرى التاسعة والستين لوفاته (٣٠ كانون الثاني عام ١٩٢٣) يطيب لنا ان نستذكر الملا عثمان باستذكار الساعات الاخيرة من حياته التي امتدت ايضا تسعة وستين عاما (١٨٥٤ -١٩٢٣) كما يرويها تلميذه رفيق لحظات الموت المقرئ البغدادي الاصيل الاستاذ عبد الفتاح معروف.

ففي مغرب يوم الخميس الرابع من تموز عام ١٩٨٥ كنت واحد الاصدقاء في دار الاستاذ عبد الفتاح في حي المأمون نستمع في ما نستمع الى تاريخ ما غفل عنه التاريخ×.

قال الاستاذ عبد الفتاح حين ذكرت له اسم الملا عثمان الموصلي، وهو يضرب ركبته بقوة شاب في العشرين لا شيخ في التسعين عنا.. في حجري اسلم الملا عثمان الروح! وانهمر كالغيث يروي وقائع ذلك اليوم المشهود وكانه يقرأ في كتاب مفتوح:

في ضحى يوم مطير جاءني الى داري في محلة "سوق حمادة" في الكرخ (احمد) بن الملا عثمان يبلغني على عجل مضطرب أن ابي والده ولم يزد، وعبثا حاولت ان افهم منه اكثر من ان الملا عثمان يطلب حضوري تواً، كنت اعلم انه غادر منذ ايام غرفته في جامع الخفافين الى دار اولاده في محلة، "فضوة عرب". بباب الشيخ بعد ان اشتدت عليه وطأة المرض، وأمسى قعيد عناية وخدمة. فما الذي حدث؟ وانطلقت كالمأخوذ انتهب الدروب الموحلة من مطر ذلك اليوم الباكي غافلاً.. من ذهولي، عن (احمد) الذي تركته ورائي يكافح من اجل اللحاق بي وقد شغله اضطرابه عن تجنب وحل الطريق وانهمار المطر..

لقد احببتي الملا عثمان وقربني اليه وخصني بكثير من فنونه وشؤونه، كانت قراءتي ترضية وضبطي للاصول يطربه، كان يجد في تلاوتي وانشادي مما لايجده في الاخرين لأنني، كما كان لي يقول غير مرة..لا اقلد احدا من القراء.. كان يناديني بالطف الاسماء واحلاها، يناديني بـ "بني" فضلا عن اسمي، وبين (ابني) و(عبد الفتاح) يجري اسمه على لسانه بوجوه المؤانسة المودة: فتاح، ..فتحي.. فتوحي.. فتوح!

ويكف الاستاذ عبد الفتاح عن حديثه وينقل وجهه في وجوهها وكأنه يفيق من حلم جميل ليستأنف رواية وقائع ذلك اليوم..

وفي الدار وجدت الملا عثمان طريحاً في احدى الحجر، وما كادت عيني تقع عليه حتى أيقنت انه، ويا فجيعة ما أيقنت ، يعالج ساعاته الاخيرة، وحين احس بحضوري استدناني منه فدنوت وجلست عند رأسه فلم يلبث ان طلب لي ان اقرأ له القران، وكأنه استبطأني وانا اقلب وجوه الرأي في ما ينبغي لي ان اقرأ فقال : اقرأ فأنا ما زلت حياً يا عبد الفتاح!

وانشأت اقرأ سورة "الذاريات" ثم لم ألبث ان دهمني شعور جعلني اقرأ وكأني في حضرة الرحمن وانني أؤدي امام الله تعالى شهادة للملا عثمان: "ان المتقين في جنات وعيون" ..

اخذين ما اتاهم ربهم انهم كانوا قبل ذلك محسنين ، كانوا قليلا من الليل ما يهجعون، وبالاسحار هم يستغفرون وفي اموالهم حق للسائل والمحروم.. الى اخر السورة الكريمة..

فتحرك الملا عثمان وتمتم: زد!

فبدأت بالسورة التي تليها، سورة "الطور" ولما وصلت الى قوله تعالى "ان المتقين في جنات ونعيم، فاكهين بما اتاهم ربهم ووقاهم ربهم عذاب الجحيم، كلوا واشربوا هنيئاً بما كنتم تعملون دمعت عيناه وسالت على خديه الدموع وقال: زد!

فواصلت القراءة. حتى اذا انتهيت الى قوله تعالى: كل امرئ بما كسب رهين، وامددناهم بفاكهة ولحم، مما يشتهون، يتنازعون فيها كأساً لا لغو فيها ولا تأثيم، ويطوف عليهم غلمان كأنهم لؤلؤ مكنون، واقبل بعضهم على بعض يتساءلون، قالوا انا كنا قبل في أهلنا مشفقين، فمن الله علينا ووقانا عذاب السموم، انا كنا من قبل ندعوه انه هو البر الرحيم طلب الملا عثمان الماء، فدنوت منه، ورفعت رأسه ووضعته في حجري وارتج علي، فليس في الحجرة الا نحن الثلاثة ، الملا عثمان وانا والموت، فانحنيت عليه وقلت له وكأن المتكلم شخص اخر غيري.. تشهد :فردد الملا عثمان الشهادتين، وأدنيت الماء من فمه وسقيته قطرات، ثم أدنيت الماء ثانية وسقيته قطرات اخرى لكنها غرغرت في حلقه وأسلم الروح!وفزعت الى من في الدار احمل اليهم وقوع المصيبة ونفاذ قضاء من لا راد لقضائه سبحانه وتعالى!

-فتحي تجهز..ابوك مات!

وانحنيت جانبا وجهشت لبكاء طويل..

وهنا تهدج صوت الاستاذ عبد الفتاح معروف وكفكف دمعاً سال على الخدين الضامرين وأمسك فأمسكنا.

وفي ذلك اليوم المطير، الثلاثاء الثلاثين من كانون الثاني عام ١٩٢٣ حمل المشيعون جسد الملا عثمان الموصلي وعادوا به الى الارض في مقبرة الغزالي، اما روحه فقد سبقتهم راجعة الى ربها راضية مرضية مرتلة مع ذلك الصوت البغدادي الاصيل آخر ما سمعته وشهدت به على هذه الارض، إنا كنا من قبل ندعوه انه هو البر الرحيم!

×انتقل الى رحمة الله تعالى يوم الخميس الخامس من كانون الثاني عام ١٩٨٩

عراقيون
من زمن التوهج
ملحق أسبوعي يصدر عن مؤسسة المدى للإعلام والثقافة والفنون
رئيس مجلس الإدارة رئيس التحرير
فخري كريم
نائب رئيس التحرير
عدنان حسين
مدير التحرير: علي حسين
الاخراج الفني: نصير سليم
التصحيح اللغوي: نوري صباح
طبعت بمطابع مؤسسة
المدى
للإعلام والثقافة والفنون

الملا عثمان الموصلي

1854 - 1923

ولـد عثمان الموصلي عام ١٨٥٤م وكان والده الحاج عبد الله سقاء تـوارث المهنة عن أجداده توفي والـده في السابعة من عمره، وما لبـث أن أصيب بفقد بصره متأثراً بمرض الجدري الذي أصيب به وضمـه جاره محمود بن سليمان العمري إلى أولاده موضع عناية وعين لـه معلماً حفّظه القـرآن، وقد أعجب محمـود أفندي بصوت عثمـان فخصص لـه معلماً يعلمـه الموسيقى والألحـان، فنبغ فيها وحفـظ الأشعـار والقصائد، وشرع عثمان في تعلـم علوم العربية علـى علماء عصـره كالشيخ عمر الأربيلي وصالـح الخطيب وعبد اللـه فيضي وغيرهم. وكان مولده في محلة باب العراق بالموصل. كان يجيد اللغتين الفارسية والتركية.[١]

وعندمـا توفي محمود أفندي العمري عام ١٨٦٥ ترك عثمان مدينة الموصل إلى بغداد وكان في العقد الثالث من عمره، وتلقاه بالتكريم أحمد عزة باشا العمري ابن محمود أفندي، وأسكنه عنده واشتهر هناك بقراءة المولد فحف به الناس، ودرس عثمان صحيح البخاري علـى داؤد أفندي وبهاء الحق أفندي الهنـدي. وذهب إلى الحج ثم عـاد إلى الموصـل عـام ١٨٨٦، وتتبـع الدرس فيها على يـد الشيخ محمـد بن جرجيس الموصلي الشهير بالنوري، وأخذ عنه الطريقة القادريـة، وهي إحدى الطرق الصوفية الشهيرة في الموصل، وقرأ القـراءات السبع على الطريقـة الشاطبية على المقرئ الشيخ محمد بـن حسن أجازه بها، وسافر إلى إسطنبـول حيث تلقاه أحمد عزة باشـا العمـري، وعَرفـه على مشاهـير الناس وعلمائهـم وأخذ عن الشيـخ مخفي أفندي القـراءات العشر والتكبـيرات وأجازه فيها، ورأى المـلا عثمـان أن يوسـع معارفـه فسافر إلى مصـر واخذ عن الشيـخ يوسف عجور إمـام الشافعيـة القراءات العشـر والتهليل والتحميـد وأجـازه بهـا. وأصـدر وهـو في مصـر مجلـة سماها "المعارف" ولكن لم تطل حياتها

وعاد مـن مصر إلى الموصل، وكان قد درس في بغداد على الشيخ محمود شكري الآلوسي.

الأستانةسافر الملا عثمان إلى اسطنبول أكثر من مرة وأستمع إليه الناس في جامع أيا صوفيا وأعجبوا به وأصبح مقصداً للمجتمع الأدبـي والفنـي. وأهم الشخصيات التي تعـرف بها في إسطنبول محمـد أبـو الهدى الصيـادي وأخذ عنـه الطريقـة الرفاعية، وفتح أمامـه آفاقاً بتقديمـه إلى السلطـان عبد الحميد. وقربـه السلطان وسمـح له دخول قصـوره وقصور الحـريم متى شـاء، وظل الملا عثمـان مقرباً من البلاط في إسطنبول وكان موضع عناية الخليفة العثمـاني، وكان يعتمد عليه شخصياً في إيفـاده إلى بعض أنحاء الإمبراطوريـة العثمانيـة لأغراض سياسيـة، وكان يخطـب في الحـج باسـم السلطـان عبـد الحميـد بتخويل منـه. والتقـى عند ذهابـه إلى مصر عـام ١٨٩٥ بالموسيقار عبده الحمولي وغيره من رجـال الموسيقـى والفن ودرسـوا عليه فنون الموشحـات، والتقى عـام ١٩٠٩ بسيـد درويش في الشـام، ودرس عليـه سيد درويش الموشحـات وفنـون الموسيقى، وقـام بتخميس لاميـة البوصيري واطلـق عليها (الهدية الشامية على القصيـدة اللامية). وقد أرسله السلطان عبد الحميد إلى ليبيا لمعرفة المقاصد السياسية للسنوسي فأكرمه السنوسي أجل إكرام.

موشحاتهلديه الكثير من الموشحات واغاني واشهرها:]

زوروني بالسنة مرة

فوق النخل فوق

لغة العرب اذكرينا، غناها يوسف عمر.

يا أم العيون السود، التي غناها ناظم الغزالي

عراقيون
من زمن التوهج